

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 01070 6194

P
7
1
18
1

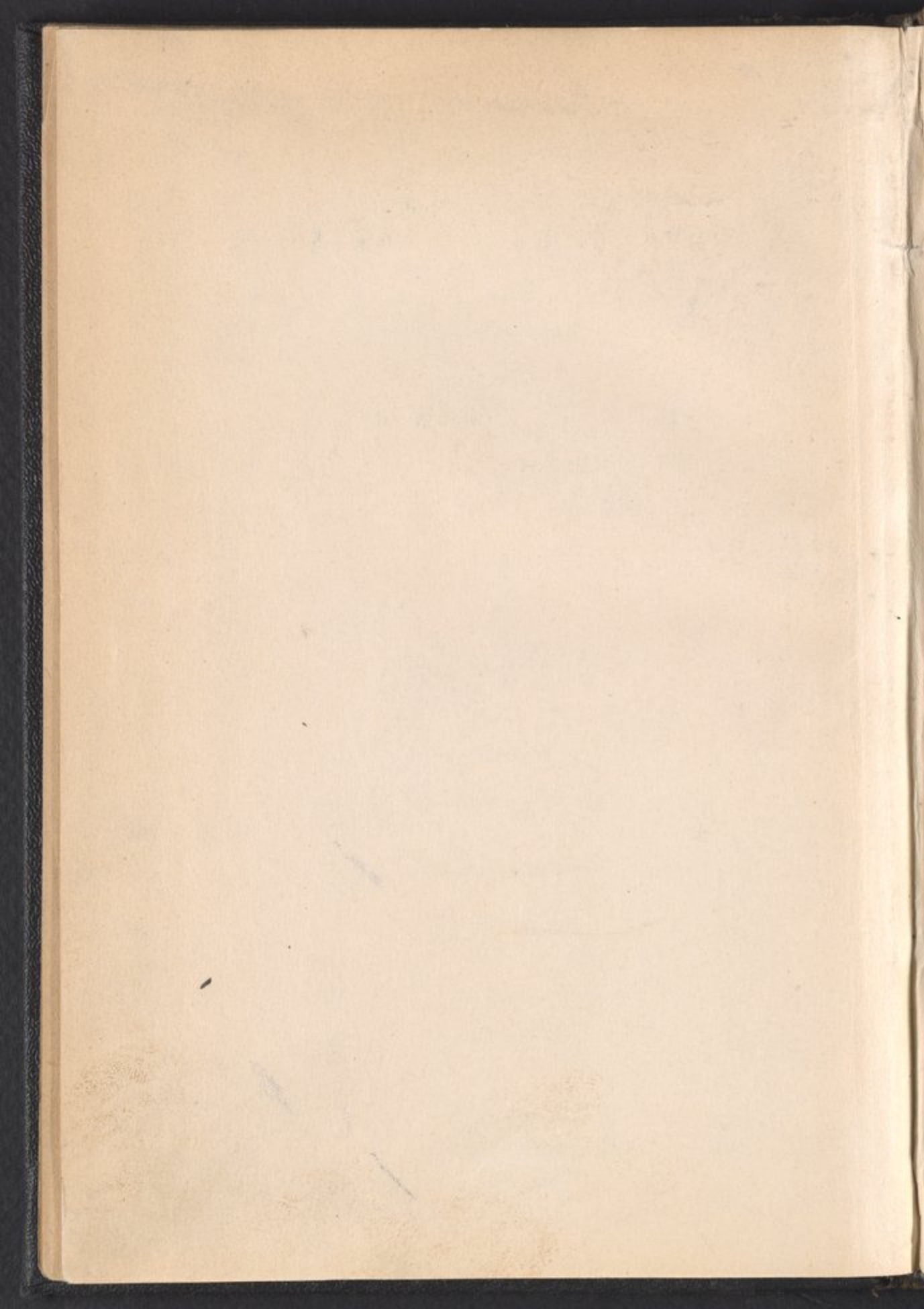
06-83

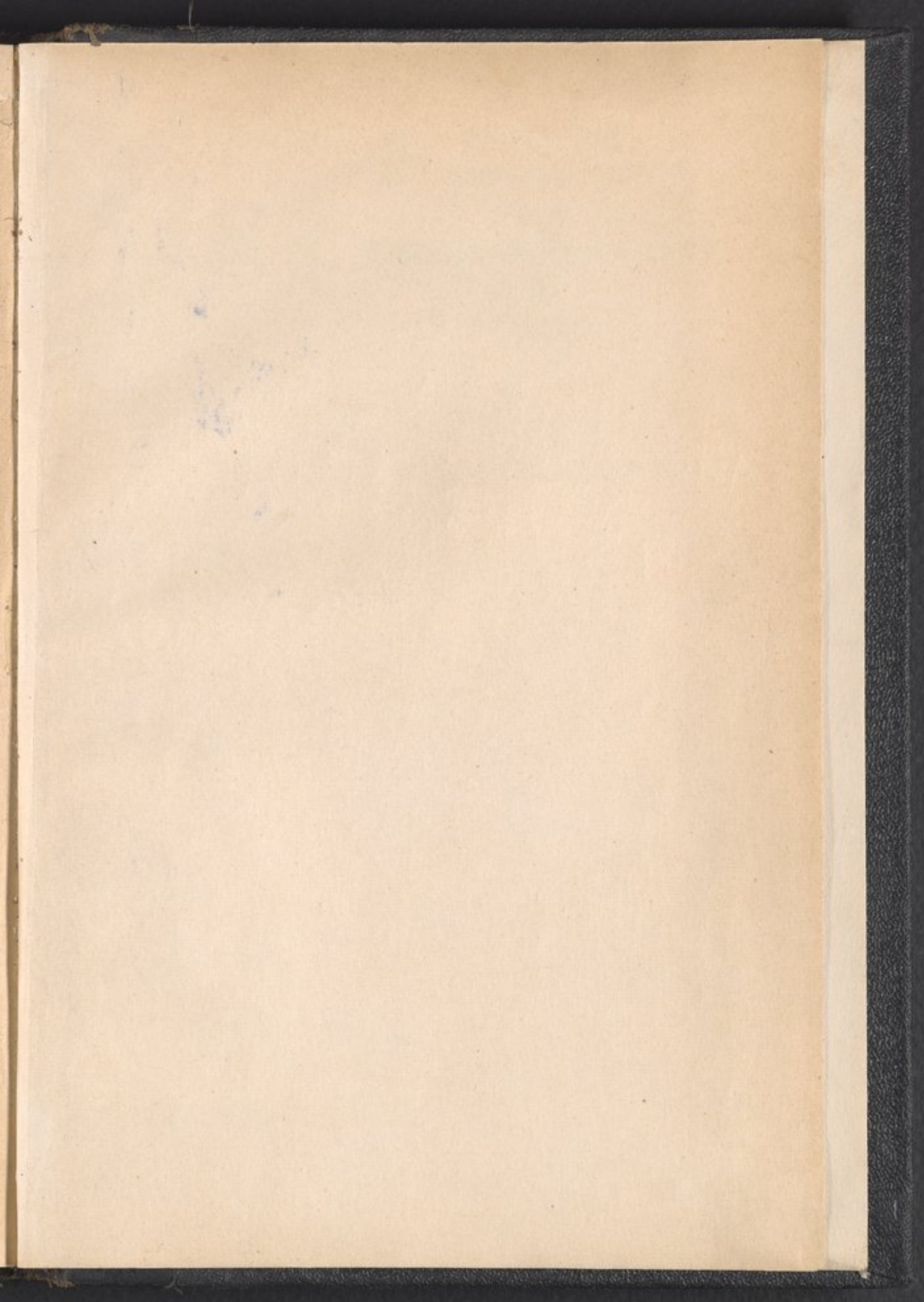
Put Jan 2nd



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الأمريكية بالقاهرة





AMERICAN
LIBRARY
OF THE
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

شرح

مَقْصُودُ ابْنِ خَرَزْمِي

PJ
7745
I 155
M3
1951

للامام أبي بكر

محمد بن الحسين بن دريد الأزدي رحمه الله

عفى به

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للشارح

الطبعة الاولى

١٩٥١

مطبعة الصاوي
٢٤ شارع الكوراسي بجادين

oclc
60506532

B12590885
1401287x

ع/ع
(م. د. م. م. م.)

38264

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين - وبعد ، فهذا شرح
موجز على مقصورة الامام أبي بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي رحمه الله
أخذت نفسي بتحقيقه وتمحيصه . وتناولت فيه تفسير غريب اللغة وما
تضمنته القصيدة من الحوادث التاريخية المشهورة . وتراجم الرجال الذين
وردت أسماءهم فيها مع بيان معنى كل بيت بمفرده ليقرب فهم المقصورة على
طلاب العلم وشدة الادب والله حسبي وكافي ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

تهرينم بابن دريد

هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنم بن الحسن
ابن حماد بن جرو بن واسع بن سلمة بن حاض بن أسد بن عدي
ابن عمرو بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبد الله
ابن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن
نصر بن الأزد بن النعوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن
سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وهذا النسب يدل دلالة صادقة
على أنه من أصل عربي . والدرد ذهاب الاسنان ودريد مصغر أورد تصغير
ترخيم لحذف الهمزة من أوله كما يقال في أزهر زهير

واد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين في خلافة المعتصم ،
وقرأ على علمائها ثم سار إلى عمان فأقام بها إلى أن مات . بدأ القراءة
على عمه الحسين ثم تولى تعليمه أبو عثمان الأشنانداني ، وروى عن
عبد الرحمن بن أخي الأصمعي وأبي حاتم السجستاني وأبي الفضل
الرياشي والتوزي والزيادي وغيرهم من أكابر علماء العربية . وكان
رأس أهل هذا العلم . روى عنه خلق منهم أبو سعيد السيرافي ،
والمرزباني ، وأبو الفرج الأصبهاني وله شعر كثير . وروى من أخبار
العرب وأشعارها ما لم يروه كثير من أهل العلم ، تشهد بذلك له مصنفاته
ومصنفات تلامذته ولا سيما الأماشي الذي معظمه رواية لأبي علي القالي
عنه . ولقد تتبع أساتذة القالي في أماليه فوجدت له خمسة شيوخ كلهم

يكنى أبا بكر فاذا روى عن أحدهم غير ابن دريد ذكر اسمه أو لقبه
إلا ابن دريد فانه إذا قال حدثنا أبو بكر مجردا عن اللقب لم يعن غيره
وقال أبو الطيب اللغوى فى مراتب النحويين عند ذكره ابن دريد
هو الذى انتهت اليه لغة البصريين ، وكان أحفظ الناس وأوسعهم
علما وأقدرهم على الشعر ، وما ازدحم العلم والشعر فى صدر أحد
ازدحامهما فى صدر خلف الأحمر وابن دريد . وتصدر ابن دريد فى
العلم ستين سنة ، وكان يقال ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء
وقال الخطيب البغدادى : كان واسع الحفظ جدا تقرأ عليه دواوين
العرب كلها أو أكثرها فيسابق إلى إتمامها وحفظها

وقال حمزة بن يوسف سألت عنه الدارقطى فقال تكلموا فيه
وقيل إنه كان يتساح فى الرواية فيسند إلى كل واحد ما يخطر بباله .
قال أبو حفص عمر بن شاهين : كنا ندخل على ابن دريد فنستحى
لما نرى من الميدان المعلقة والشراب المصفى وقد كان جاوز التسعين
وقال الخطيب : جاءه سائل فلم يكن عنده غير دن نبيذ فأعطاه
له ، فأنكر عليه غلامه فقال : لم يكن عندنا غيره وتلا قوله تعالى (لن
تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فاتم اليوم حتى أهدى إليه عشرة
دينار ، فقال : تصدقنا بواحد وأخذنا عشرة !!

وقال الأزهرى فى مقدمة كتاب التهذيب فى اللغة : وممن ألف
الكتب فى زماننا فرمى بافعال العربية ، وتوليد الألفاظ ، وإدخال

ما ليس في كلام العرب في كلامها أبو بكر بن دريد صاحب الجهرة وقد
حضرت في داره ببغداد غير مرة فرأيت يروى عن أبي حاتم الرياشي
وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي . وسألت عنه إبراهيم بن محمد بن
عرفة فلم يعبا به ولم يوثقه في روايته ، وألقيته في كبر سنه سكران
لا يكاد يستمر لسانه على الكلام من سكره وقد تصفحت كتابه الذي
أطارد اسم الجهرة فلم أر دليلا على معرفة ثاقبة ولا قريحة جيدة وعثرت
من هذا الكتاب على حروف كثيرة أنكرتها ، ولم أعرف مخارجها
فأثبتها في كتابي في مواقعها لأبحث أنا وغيري عنها .

قلت : أما دعوى افتعال الالفاظ فابن دريد أعلم ممن آثمه بالعربية
وهو الحجة فيها فالقول قوله لا قولهم وإنما ادعوا الافتعال جهلا والقاعدة
أن من حفظ فهو حجة على من لم يحفظ ، وأما التسامح في الرواية
فدعوى محتاج إلى دليل ، ولعل للسند عنده طرقا متعددة . بقي أمر
العيدان المعلقة فوجود العيدان لا يكفي لادانة الرجل ، ولا سيما وأنهما
معلقة ، وأما الشراب المصفي فلعله كان نبذا . بدليل قول الخطيب إنه
أعطى السائل دن نبذا . أما ادعاؤهم أنه ما كان يفيق من سكره فانهم
المخطئون لأنهم قصرُوا في حق من حقوق الله تعالى وارتكبوا إثمًا
عظيما ، فكان عليهم أن يقيموا عليه الحد ، ولم ينقل أحد أنهم قاموا بهذا
الواجب عليهم من حقوق الله ! فلم يكن الرجل سكيراً وإنما تقول الناس
عليه وآثموه بهذا ، والناس في كل عصر مولعون بالطعن على العلماء

وتجريحهم ولم يسلم من ذمهم أحد حتى الأنبياء ومع ما نقل عن ابن ذريرد
من أنه تاب فتمد لجوا يرمونه بكل آفة . ولم يتورعوا عن ذكر
المساوى وقد أمروا بذكر المحاسن والارعواء عن غيرها .

ويؤيد هذا الرأي ما نقل عن السيوطى أنه قال : معاذ الله هو برىء
بما رمى به ، ومن طالع الجمهرة رأى تحريه فى روايته ولا يقبل فيه
طعن نقطويه لأنه كان بينهما منافرة عظيمة وقد تقرر فى علم الحديث
أن كلام الأقران فى بعضهم لا يقدر اه .

ومما يسقط دعواهم مارواه ياقوت فى معجمه ، قال الأمير أبو
تصر بن أحمد الميكالى : تذاكرنا المتنزهات يوما ، وابن دريد حاضر
فقال بعضهم : أنزه الاماكن غوطة دمشق ، وذكروا نهر الأبله ،
وسفد سمرقند ، ونهر وان بغداد ، وشعب بوان بأرض فارس ، ونوبهار بلخ
فقال أبو بكر : هذه متنزهات العيون . فأين أنتم من متنزهات القلوب ،
قلنا وما هى يا أبا بكر ؟ قال : عيون الاخبار للقتي (يعنى ابن قتيبة)
والزهرة لابن داود ، وقلق المشتاق لابن أبى طاهر ، ثم أنشأ يقول :

ومن تلك نزهته قينة وكأس تحم وكأس تصب

فنزهننا واستراحاتنا تلاقى العيون ودرس الكتب

ولست أجد وصفا لأخلاق الناس أبلغ ولا أجمع مما وصف به

ابن دريد أخلاق الناس ، وبخاصة أهل زمانه حين قال :

أرى الناس قد أغروا بغيرى وريبة وغى إذا ما ميز الناس عاقل

وقد لزموا معنى الخلاف فكلمهم
إذا مارأوا خيرا رموه بظنة
وليس امرؤ منهم بنتاج من الأذى
وان عاينوا جبرا أديبا مهذبا
وان كان ذا دين رموه ببذعة
وان كان ذا حلم يسمى بنعجة
وان كان ذاسمت يقولون صورة
وان كان ذا شر فويل لأمه
وان كان ذا أصل يقولون إنما
وان كان مجهولا فذلك عندهم
وان كان ذا مال يقولون ماله
وان كان ذا فقر فقد ذل بينهم
وان قنع المسكين قالوا لقلة
وان هو لم يقنع يقولون إنما
وان يكتسب مالا يقولوا بهيمة
وان جاد قالوا مسرف ومبذر
وان صاحب الغلمان قالوا لريبة
وان هوى النسوان سموه فاجرا
وان تاب قالوا لم يتب ، منه عادة

الى نحو ما عاب الخليفة مائل
وان عاينوا شرا فكل مناضل
ولا فيهم عن زلة متغافل
حسبها يقولوا إنه لخاتل
وسموه زنديقا وفيه يجادل
وليس له عقل ولا فيه طائل
مثلة بالعى بل هو جاهل
لما عنه يحكى من تضم المحافل
يفخر بالموتى وما هو زائل
كبيض رمال ليس يعرف عامل
من السحت قد أربى وبش الماكل
حقيرا مهिला تزدرية الأراذل
وشعة نفس قد حوتها الأنامل
يطلب من لم يعطه ويقاتل
أتاه من المقدور حظ ونائل
وان لم يجد قالوا شحيح وباخل
وان أجملوا فى اللفظ قالوا مباذل
وان عف قالوا ذاك خنثى ومبطل
ولكن لا فلاس وما ثم حاصل

وإن حج قالوا ليس لله حجه
وإن كان بالشرنج والترد لأعبا
وإن كان في كل المذاهب نابزاً
وإن كان مغراماً يقولون أهوج
وإن يعتل يوماً يقولوا، عقوبة
وإن مات قالوا لم يميت حتف أنفه
وما الناس إلا جاحد ومعاند
وذلك رياء أنجته المحافل
ولاعب ذالآ داب قالوا مداخل
وكان خفيف الروح قالوا مشاغل
وإن كان ذا ثبث يقولون باطل
لشر الذي يأتي وما هو فاعل
لما هو من شر المآكل آكل
وذو حسد قد بان فيه التخالل

وله من التصانيف هذه المقصورة، وقد شرحها جماعة منهم
ابن خالويه والفقير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم
اللخمي السبتي، وقد عارض ابن دريد في هذه المقصورة جماعة
أشهرهم القاضي التنوخي كما عارضها أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم
الانصاري القرطاجني النحوي توفي سنة ٦٨٤، وشرحها الشريف
الغرناطي وطبعها الحاج التهامي المزوارى بإشامرا كش وهي الآن بين
يدي ولكن شتان ما بين مقصورة ابن دريد ومقصورة ابن حازم
بل هي كما قيل :

فأين الثريا وأين الثرى وأين معاوية من علي
وهذه القصيدة المقصورة صنعها للامير عبد الله بن ميكال فأجازه
عليها عشرة آلاف درهم، وكان ابنه أبو العباس اسماعيل تلميذاً
لابن دريد إذ ذاك، وهو الذي عناه في قوله :

ومد ضبعي أبو العباس من بعد انقباض الذرع والباع الوزى
قال أبو العباس لم تصل يدى إذ ذاك إلا إلى ثلاثمائة دينار صبيته
فى طبق كاغد ووضعها بين يدى ابن دريد حين أنشأ المقصورة .
ومن مؤلفاته الجهرة ، صنفها للامير أبى العباس اسماعيل بن عبد الله
الميكالى أيام مقامه بفارس فأملأها عليه إملاء ، قال الميكالى : أملئ على
أبو بكر الدريدى كتاب الجهرة من أوله الى آخره حفظاً سنة ٢٩٧
فما رأيت استعان عليه بالنظر فى شيء من الكتب إلا فى باب الهمزة فانه
طالع له بعض الكتب ثم أملاها بالبصرة وبيغداد من حفظه .

ولم يسلم ابن دريد من الحسد فقد ادعى نبطويه ابراهيم بن محمد
أنه سرق كتاب العين للخليل بن أحمد القراهيدى وهجاه بهذه الأبيات :
ابن دريد بقصره وفيه عى وشره ويدعى من حمقه
وضع كتاب الجهره وهو كتاب العين إلا لأنه قد غير
فلما بلغت ابن دريد هذه الأبيات قال فيه مقطوعات منها :

لو أنزل الوحى على نبطويه لكان ذاك الوحى سخطا عليه
أحرقه الله بنصف اسمه وصير الباقى صراخا عليه

قال السيوطى : كانت عند أبى على القالى نسخة من الجهرة بخط
ابن دريد وكان قد أعطى فيها ثلثمائة مثقال فأبى ثم اشتدت به الحاجة
فباعها وكتب عليها هذه الأبيات :

أنست بها عشرين عاما وبعثها وقد طال وجدى بمدىها وحنينى

وما كان ظني أنني سأبيعها ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لعجز وافتقار وصديقة صغار عليهم تسهل شئوني
فقلت ولم أملك سوا بقعة مقالة مكوى الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك كرا ثم من رب بهن ضنين
فأرسلها الذي اشتراها اليه وأرسل معها أربعين دينارا أخرى^١.

وبهذه المناسبة أذكر أنه كانت لدى نسخة من معجم البلدان
لأبي ياقوت كانت عدتني وعونني على تحقيق كثير من نصوص الشعر وأسماء
الأمم كن ثم اضطررت إلى بيعها في سنة ١٣٦٩ هـ فقلت بيتا وحيدا :

دمعي على ياقوت كالياقوت ولو أني أنفقته في قوتي . اهـ
وقد طبع كتاب الجهرة في حيدر أباد في أربعة مجلدات مع الفهارس
ومن تأليفه كتاب الاشتقاق وقد طبع سنة ١٨٥٤ في ليبزج
وكتاب المقتبس والوشاح ، وكتاب صفة السرج واللجام طبع سنة
١٨٥٩ م ضمن مجموعة في مدينة ليدن . وكتاب الخيل الصغير .
والأنواء . وكتاب المجتبى طبع في الهند ومصر . وكتاب المقتنى . وكتاب
الملاحن وطبع أولا في أوربا ثم في مصر سنة ١٣٤٧ هـ . وكتاب رواد
العرب المسمى رواة العرب في فهرست ابن النديم . وكتاب مسائل
عنه لفظا فأجاب عنه حفظا . وكتاب اللغات . وكتاب السلاح .

(١) لعل هذه الحكاية مفتعلة ، أو لعل القائل اضطر مرة أخرى إلى بيع كتاب
الجمهرة ، فإن ابن خبير لم يذكرها في المكتب التي كانت معه حين دخل الاندلس

وغريب القرآن ولم يتمه . وكتاب فعلت وأفعلت . وأدب الكاتب
والبنون والبنات . والأمالى . وتقويم اللسان لم تبيض . وكتاب المطر
والسحاب والغيث طبع ليدن . وكتاب المقصور والممدود

وقد جمع السيد محمد بدر الدين العلوى أستاذ اللغة العربية بعليكرة
شعر ابن دريد فى نحو ١٤٠ صفحة من القطع المتوسط وعمل له مقدمة
وفهارس وتعليقات دلت على عنايته بالآداب غير أنى أرجو أن يتلافى
عافيا من هنات فى الطبعة الجديدة

ولقد كان لابن دريد تلامذة كثيرون ، كلهم أئمة فى اللغة
والآدب نذكر منهم - أبا سعيد السيرافى النحوى ، وأبا عبد الله
المرزبانى ، وأبا الفرج الأصبهاني ، وأبا على القالى ، والزجاجى ، وابن
خالويه ، والحسن بن عبد الله العسكري ، والرماني النحوى ، والوزير
ابن مقلة ، وابن شاذان ، وأبا العباس إسماعيل الميسكالى . وكان يؤم
حلقة ابن دريد عدد وفير من الطلاب تغلب عليهم الوضاعة والجمال
حتى قيل :

من يكن للظباء صاحب صيد فعليه بمجلس ابن دريد
إن فيه لأوجها قيدتى عن طلاب الملا بأوثق قيد

وروى بعضهم حضرنا مجلس ابن دريد ، وكان يتضجر ممن
يخطئ فى قراءته فكان غلام وضئ جعل يقرأ ويكثر الخطأ ، وابن
دريد صابر عليه فتعجب أهل المجلس فقال رجل منهم : لا تعجبوا إن

في وجهه غفران ذنوبه ، فسمعها ابن دريد ، فلما أراد أن يقرأ قال ابن دريد : هات يامن ليس في وجهه غفران ذنوبه ! فتهجبوا من صفة سمعه مع علو سنده .

قال ابن خالويه في شرح القصيدة : كان ببغداد عباد بن عمر بن الجليس بن عامر بن زيد بن مذكور بن سعد بن حارث الكرماني صاحب لغة ، وكان يطمئن على ابن دريد وينقض عليه الجمهرة ، فجاء غلام لابن دريد فجاس بحذائه في الجامع ونقض على الكرماني جميع ما نقضه على ابن دريد فقال اكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم قال أبو بكر بن دريد أعزه الله تعالى عننت الفرس إذا حبسته بعنانه فان حبسته بمقوده فليس بمن . قال الكرماني الجاهل أخطأ ابن دريد لأنه إن كان من عننت فيجب أن يكون معنونا وإن كان من أعنت فيجب أن يكون معني ، وأخطأ لكذا وكذا ، فوقف شاعر على الحلقة فقال :

أذلت كرماني وعرضتها	لجحفل مثل عديد الحمى
وابن دريد غرة فيهم	في بحر مثلك كم غوصا
جنا على الركبة حتى إذا	أحس نورا قعد القرفصا
والله إن عاد إلى مثلها	لأصفعن هامته بالعصا

فلم يلتفت إلى الكرماني بعد ذلك . وقال ابن خالويه في الشرح المذكور : حضرت ابن دريد وقد ناوله أبو الفوارس غلامه طاقة

ترجس ، فقال يا بني ما أصنع بهذا اليوم ؟ وأنشد :

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل ابعده
ولابن دريد شعر حسن متين لا يقصر عن شأو المجيد من
المتقدمين قوة وسبكا ، ويجعله من الشعراء المعدودين المبرزين ، فمنه :

عيون ما يلم بها الرقاد	ولا يمحو محاسنها السهاد
إذا ما الليل صاخبها استهلت	وتضحك حين ينحبس السواد
لها حدق من الذهب المصفى	صياغة من يدين له العباد
وأجفان من الدر استفادت	ضياء مثله لا يستفاد
على قضب الزبرجد في ذراها	لأعين من يلاحظها مراد

ومن شعره يرثي الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه :

توخى الهدى فاستنقذته يد التقى	من الزيف إن الزيف للمرء صارع
ولاذ بأثار الرسول فيكمه	لحكم رسول الله في الناس تابع
وعول في أحكامه وقضائه	على ما قضى في الوحي والحق ناصع
سلام على قبر تضمن جسمه	وجادت عليه المدجنات الهوامع
لقد غيت أثراؤه جسم ماجد	جليل إذا التفت عليه المجامع
لئن جئتنا النائبات بشخصه	لن لما حكمن فيه فواجع
فأحكامه فينا بدور زواهر	وآثاره فينا نجوم طوالع

ومنه يرثي أبا جعفر محمد بن جرير الطبري :

إن تستطيع لأمر الله تعقيبا فاستنجد الصبر أو فاستشمر الخوبا

وافزع إلى كنف التسليم وارض بما
 لمن العزاء إذا عزته جائحة
 فان قرنت اليه العزم أيده
 فارم الأسى بالأسى يطفى مواقعها
 من صاحب الدهر لم يعدم مجالجه
 إن البلية لا وفر ترعزعه
 ولا تفرق آلاف يفوت بهم
 لكن فقدان من أضحي بمصرعه
 أودى أبو جعفر والعلم غاصطحبا
 قضى المهيمن مكروها ومحبوها
 ذلت عريكته فانقاد مجنوبا
 حتى يعود لديه الحزن مغلوبا
 جمر أخلال ضلوع الصدر مشبوبا
 يظل منها طوال العيش منكوبا
 أيدي الحوادث تشيتا وتشديبا
 بين يغادر حبل الوصل مقضوبا
 نور الهدى وبهاء العلم مسلوبا
 أعظم بذاصاحبها إذ ذاك مصحوبا

وكانت وفاة ابن دريد ببغداد ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من
 رمضان سنة ٣٢١ وقيل يوم الأربعاء لثمان عشرة ليلة خات من شعبان
 ودفن في مقبرة الخيزران وقيل في المقبرة المعروفة بالعباسية ، وقد
 مات في اليوم الذي مات فيه عبد السلام الجبائي صاحب المذهب
 المشهور ، فقال الناس: اليوم مات علم اللغة والكلام جميعا.
 ورثاه جحظة البرمكي بقوله :

فقدت بابن دريد كل منفعة
 وكنت أبكي لفقد الجود مجتهدا
 ورثاه بعض البغداديين قيل هو أبو علي وما أظنه بقصيدة أولها :
 يلوم على فرط الأسى ويفسد
 خلى من الوجد الذي يتجده

ويكبر أنت ينهل دمع أراقه
ويستصفر الرزء الذي جل قدره
حرام على الاجفان أن ترد الكرى
وبسل على المحزون أن يقبل الاسبى
فما لجفوني عذرة حين ترقد
هو الدهر يرمينا بأسهم صرفه
فلا جمع إلا والزمان مفروق
ولا عهد إلا والليالي وصرفها
ولا حال إلا وهى رهن تنقل
جرت عادة الدنيا بكل الذى ترى
فصبرا وتسليما لكل ملهمة
لعمرك ما أصبحت جلداً على التى
أنى كل يوم يفقد الدهر ما جداً
وتفجعنا الدنيا بعلق مضنة
نودع خلان الصفاء وتقطع ال
تفارق من تلقى الردى بفراقه
أرانا بصرف الدهر نفقى وننفد
عليك أبا بكر سلام ورحمة
وجاد ترى ضمته كل وابل

تضرم نار فى الحشا ليس يخمد
وكل امرئ بأك عليه ومسمد
أجل ما لها إلا التسهد مورد
بلى حظه حزن به الدهر يكمد
ولا لدموعى سلوة حين تجمد
ويصمى الرمايا حين يرمى ويقصد
ولا شمل إلا بالخطوب مبدد
تجول به عن كل ما أنت تعهد
إذا صلحت فى اليوم أفسدها الغد
وليس لها ترك لما تتعود
إذا لم يكن يوماً على الدهر منجد
منيت بها لى كنتى أتجلد
يعز علينا فقده حين يفقد
ننافس فيه ما حيننا ونحسد
مقادير منا ود من يتودد
وينأى القريب الألف منا ويبعد
وتفنى صروف الدهر أيضاً وتنهد
بها فى جنان الخلد أنت مخلد
من الزمن وكاف يراح ويرعد

إذا ما استطار اليرق في جنباته
وإن أرزمت فيه الرواعد خلته
فقد ضم منك الترب مجدا وسوددا
فقد ناك فقد ان للمصابيح في الدجى
وماتت بموت العلم منك قلوبنا
لتبكت أبكار المعاني وعونها
تسير مسير الأنجم الزهر كلما
لأنشرت بالعلم الخليل نخلتنا
وجالستنا بالأصمعي وممر
وخلنا أبا زيد لدينا ممثلا
وشاهدتنا بالمازني وعلمه
وكنتم إماما في الروايات كلها
هوت أنجم الآداب والعلم واغتدت
وكان جناب العلم إذ كان مخصبا
فقد أصبحت مذبان وهي هشام
مضيت أبا بكر جميعا وخلفت
كما ودع الغيث الذي عم نفعه
توحدت بالآداب والعلم والحجا
حمدنا بك الأيام تمت حاضنا

حسبت الظبا فيه عشاء تجرد
حزين متال في يفاع يردد
يقصر عن أدنى مداه المسود
إذا ضل عن قصد الهداية مقصد
وكنتم حياها لم نزل بك ترشد
وغير القوافي حين تروى وتنشد
خبا ضوء شعر أشرقت تتوقد
نشاهده إن ضمنا منك مشهد
وأوجدتنا ما لم يكن قبل يوجد
وأنت بفضل الله أعلى وأزيد
وما غاب عنا إذ حضرت المبرد
يضاف اليك الصدق فيها ويسند
رياضهما من بعده وهي همد
وأفنانه ميل رواء تميد
نوابها تجتث منها وتعضد
مساعيك فضلا بيننا ليس بجهد
وأضحى به كل البرية يرفد
فأنت بحسن الذكر منها موحد
مصائبك منها ذم ما كان يحمد

شهدنا على الأيام أن سرورها
 على أي شيء منك نأسى إذا جرت
 على علمك الواري الزناد إذا غدا
 وأخلاقك الغر التي لو تجسدت
 على رأيك الماضي المضي الذي به
 فقد شملت فيك الرزية يعربا
 مضى ابن دريد ثم خلد بعده
 بدائع من نظم ونثر كأنها
 كأن لم تكن تروى غليل مسامع
 ولم تبده الخضم الألد بمسكت
 ولم توقظ الآراء عند سباتها
 ولم تجل أصداء القلوب ولم يقم
 فما منك معترض ولا عنك سلوة
 عليك سلام الله ما ذر شارق
 فرحم الله أبا بكر رحمة واسعة ، وأنزل عليه شآئيب رضوانه ،
 وأسكنه فراديس جنانه م

عبد الله الصاوي

القاهرة في جمادى الاولى من سنة ١٣٧٠ هـ

بسم الرحمن الرحيم

قال أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي
ياظبية أشبه شئ بالمها
ترعى الخزامى بين أشجار النقا (١)

(١) الظبية : راحدة الظباء أجمل حيوانات الصحراء وبها يضرب المثل في جمال العيون والجيد . والمها : جمع مائة وهي البقرة الوحشية وهي أيضا مضرب المثل في جمال العيون وحررها . والخزامى نبت طيب الرائحة ورعيه تناولها له ، والنقا : القطعة من الرمل تنقاد محذوبة . يخاطب محبوبته ويصفها بأنها أخذت من الظباء والمها بمجامع الحسن ، وهذا البيت ليس من مقصورة ابن دريد ، وإنما هو للكمال بن الأنباري وقوله :

شرد عن عيني الكرى طيف سرى	من أم عمر وفي غياهب الدجى
زار وسادى وللظلام عاكف	وأنجم الليل مديدات الطلا
أهلا بشخص ما رأينا مثله	في بقعة تزهو لنا طول المدى
إذ نحن نزهو والزمان مولع	بأعين الغيد وأجساد الظبا
نواعس مثل المهي نواهد	خمس البطون عاليات المنتجى
والغانيات لا يردن من بدا	في عارضيه الشيب لو رام الصبا
لما رأت شيب عم مفرق	قالت غبار يا خليلي ما أرى
ولم تزل تمسحه بمرطها	والقلب ما بين إياس ورجا
فلت لها موعظة لعلمها	تعي صروف ما رأت قد علا
ويروى : ياظبية	راثة بين المضميم والحشا

إِمَّا تَرَى رَأْسِي حَاكِي لَوْنُهُ طُرَّةٌ صَبِيعٌ تَحْتَ أَذْيَالِ الدَّجَى^(١)
وَاشْتَعَلَ أَلْبِيضُ فِي مُسَوِّدٍ مِثْلَ اشْتِعَالِ النَّارِ فِي جَزَلِ الْغَضَا^(٢)

وهي كما ترى في غاية التكلف والبعد عن أسلوب ابن دريد وفي تخيره المعاني وانتقائه للألفاظ ، وقد أجمع الـهـاء على هذا واكتفوا بالبيت الأول مما وضعه ابن الأنباري وما دفع الكل إلى هذا التعسف إلا طلبهم لمراجع الخطاب في قوله « ترى » فرأوا أن يبدووا القصيدة بتشبيب دلي طريقة العرب فجعلوه مؤنثا ، ولست أدري أكانوا أبصر بأساليب الكلام من ابن دريد ولم لم يرجعوا التاء إلى الدهر الذي يخاطبه ويشكوه في الآيات أو يجعلوا الكلام على معنى الاستفهام فيكون أول القصيدة :

أما ترى رأسي حاكمي لونه — على معنى يادهر أو إما ترى باشباع فتحة الزاء أو أما ترى يادهر .

(١) إما ترى : أصلها إن ترين ، وما زائدة ، وإن حرف شرط ، وفاعل ترى باسكان الياء المحبوبة أو الدهر مع إشباع فتحة الزاء وسيأتي جواب الشرط عند قوله فكل . ولنا أن نجعل أما استفهامية ، والمخاطب الدهر والفاء من فكل عاطفة . بدليل أن ابن دريد لم ينسب ولم يشبب ولم يخاطب محبوبة في صدر هذه القصيدة وإنما فعل هذا في مكان آخر منها عند قوله :

ولاعبتني غادة وهنانة تضنى وفي ترشافها برء الضنى
وحاكي : أشبه ، وطرة الصبيح يعني وجهه ، وطرة كل شيء حافظته وجانبه ، ومنه طرة الكتاب وهي الحاشية التي لا هذب لها ويقال لها كنفه أيضا . والأذيال : الأطراف وإحدها ذيل ومنه ذيل القميص . والدجى : الظلمة جمع دجية من قولهم ليل داج أي مظلم .

(٢) اشتعل : فشا وانتشر ، من قول الله عز وجل (واشتعل الرأس شيبا)

فَكَانَ كَاللَّيْلِ الْبَهِيمِ حَلَّ فِي أَرْجَائِهِ ضَوْءٌ صَبَاحٍ فَانْجَلَى ^(١)
وَعَاضَ مَاءَ شِرْتِي دَهْرٌ رَمَى خَوَاطِرَ الْقَلْبِ بِتَبْرِيحِ الْجَوَى ^(٢)
وَأَضْرَوْضَ اللَّهُوْ يَبْسَافًا ذَوِيًّا مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كَانَ جَجَاجَ الشَّرَى ^(٣)

والمبيض منه الشعر الاشيب ومسوده الشعر الذى بقى أسود على حاله .
والجزل : ما غلظ من الحطب ، والغضا : ضرب من الشجر يبقى جمرة بحرا
بعد الاحتراق طويلا واحدته غضاة . قال الشاعر :

فسقى الغضا والساكنيه وإن هموا شبوه بين جوانحي وضلوعى
(١) البهيم : الأسود يعنى شعر رأسه أيام الصبا والشباب وليل بهيم لاضوء
فيه إلى الصباح . وحل : نزل ، قال الله عز وجل (أو تحل قريبا من دارهم)
وأرجأوه : أطرافه وواحد الأرجاء رجاء ، وهى مقصورة قال الله عز
وجل (والملك على أرجائها) . وأما الرجاء من الأمل فمدود . وانجلي :
ذهب وانكشف ، قال الله عز وجل : (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء)
(٢) غاض : نقص ، من قوله تعالى (وغيض الماء) أى نقص يقال
غضت الماء ففاض إذا انسأب فى الأرض أى غاض وذهب . وقوله : ماء
شرقى ، اسم لماء شبابه وقوته والشباب لا ماء له ولكنه استعارة ، وأصل
الشرة الحدة والنشاط ، فاستعارها ههنا للشباب . والخواطر : الهمم وهو
ما يخطر بالقلب من الفكرة وأراد بخواطر القلب الفطنة وحدة الذكاء .
والتبريح : البلوغ فى المشقة إلى غايتها ، وهو من قولهم برح بى هذا الأمر
إذا بلغ به غاية الحزن والجوى : سقم الجوف من طول المرض ، وقيل
تأثير الحزن فى القلب يقال جوى يحوى جوى مثل ضنى يضنى ضنى .

(٣) أض : رجع يقال أض يئض أيضا . وروض اللهو : فى هذا الموضع
استعارة لأن اللهو لا روض له ، والروض هو المسكان المأشوب ، وتسميته
فى الأرض حقيقة وتسميته فى اللهو مجاز ، والروض بهذا اللفظ جمع الواحدة

وَضَرَمَ النَّأْيُ الْمُشْتِ جَذْوَةً . مَا تَأْتِي تَسْفَعُ أَثْنَاءَ الْحَشَا^١

وَاتَّخَذَ التَّسْهِيدُ عَيْنِي مَأْلَفًا لِمَا جَفَأَ جَفَانَهَا طَيْفُ الْكَرَى^٢

روضة مثل نور ونورة وجوز وجوزة ، ويجمع أيضا على رياض مثل صحيفة وصحاف ويجمع أيضا على روضات مثل بيضة وبيضات ، ويبسا : أى يبسا . وذاويا : ذابلا . والحجاج : الصيباب من قولهم حج الغصن الماء اذا ألقاه على قشره الأعلى وحج الرجل الماء إذا ألقاه من فيه ، وحجاج الثرى أيضا مثله ، وإنما يعنى بهذا القول أيام شبابه شبهها بروضة وماء يقول آضت هذه الروضة أرضا ميتة لا منفعة فيها . والثرى : التراب الندى مقصور ، وأما الثراء بالمد فغنائه الغنى والسعة .

(١) ضرم : أشعل وأوقد . والنأى : البعد يقال نأى ينأى نأياً إذا بعد ، قال الله عز وجل (أعرض ونأى بجانبه) وقال : (وهم يهنون عنه ويننأون عنه) ، والمشت : المفرق يقال أشت يشت إذا فرق فهو مشت ، وشت يشت شتاً إذا تفرق هو ، والقوم الاشتات المتفرقون واحدهم شت ، قال الله عز وجل (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً) أى متفرقين ، وفى الاثنين شتان مثل الزيدان والجذوة : الجرة العظيمة ، وقيل الجذوة القطعة تحترق من الخشب فتبقى منها بقية قال الله عز وجل (أو جذوة من النار لعلكم تصطلون) وقوله ما تأتلى : أى ما تقصر وتأتلى وزنه تفتعل من قولهم ما ألوت أفعل كذا أى ما قصرت قال الله عز وجل (ولا يأتلى أولوا الفضل منكم والسعة) أى لا يقصر ، وتسفع تحرق وقيل تسفع وتؤثر من قولك سفعته النار إذا أحرقته وتركت فى جسمه آثارا . وأثناء الحشا : يعنى مارق من البطن وتغضن واحدها ثنى وأراد به القلب والجوف وقيل أثناء الحشا نواحيه وجبهاته .

(٢) التسهيد : والسهاد السهر وهو فقد النوم . ومألفا : أى صاحباً

فَكُلُّ مَا لَا قِيَّتَهُ مُغْتَفَرٌ فِي جَنَّتِ مَا سَارَهُ شَحَطُ النَّوَى^(١)
لَوْلَا بَسَ الصَّخْرُ الْأَصَمُّ بَعْضُ مَا يَلْقَاهُ قَلْبِي فَضَّ أَصْلَادَ الصَّفَا^(٢)

والمأسف هو الموضوع الذي تقع فيه الألفة أى الاجتماع والصحبة مثل المحضر والمشهد فأقام المؤلف هنا مقام الألف . والإلف هو صاحب . والمألف : مكان الاجتماع . جفا : أى هجر والجفوة ، والجفاء الهجران ، يقال جفاني فلان إذا هجرني . والجافي أيضاً فى غير هذا الحشن . والأجفان : أغطية العيون واحدهما جفن بمنزلة جفن السيف وهو غمده ، والطيغ : ما يراه الانسان من خيال محبوبته . والكرى : النوم .

(١) مغتفر : أى متجاوز عنه متروك ، ومنه قولهم فى الدعاء غفر الله لك معناه تجاوز الله عنك . وأصل الغفران التغطية ، وسعى مغفر الدرع مغفراً لأنه يغطى الرأس فقول الداعى : اللهم اغفر لنا ذنوبنا معناه اللهم غطها واسترها . وأسأره : أبقاه والسؤر البقية . وفى الحديث « إذا شربتم فأسئروا » أى أبقوا بقية فى الاناء . وقوله فكل ما لاقيته البيت هو جواب الشرط المتقدم ان جرينا على أن إما شرطية بقول : إن ترى شعري قد ابيض شيبا وذهبت قوتي ورماني الدهر بأرزائه وأحداثه الخ ما وصف به حاله فذلك كله مغتفر فى جنب تلك البقية القليلة من القرب أو الامل . وإنما يريد بهذا الكلام أن يهون على نفسه زمان شبابه وكبره عند اغترابه .

(٢) لابس : خالط . والأصم : الصلب . وفضر : كسر وأصل الفضر التفريق قال الله تعالى (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها) أى تفرقوا . والأصلاد : جمع صلد وهى الحجارة الصلبة الشديدة قال الله عز وجل (فتركه صلداً) . والصف الصخر الصلاب الواحدة صفاة والمذكر صفوان قال الله تعالى (كمثل صفوان عليه تراب) يقول : إن بعض الذى يلقاه قلوبى تحطم ملابسته الصخر الأصم وتهيله تراباً

- ١١ إذا ذوى النُصْن الرطيب فاعلمن
 ١٢ شجيت لابل أجزضتني غصة
 ١٣ إن يحم عن عيني البكا تجلدي
 ١ أن قصاراه نفاذ وتوى^١
 ٢ عنودها أقتل لي من الشجبي^٢
 ٣ فالقلب موقوف على سبيل البكا^٣

(١) ذوى : جف وذبل ، يقال ذوى يذوى ذوباً وفي الحديث د أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يبتاك وهو صائم يعود قد ذوى ، والرطيب : الناعم الرطب . وقصاراه : آخر أمره ومنتهاه وغايته . والنفاذ : الفناء والذهاب والانقطاع والفراغ ، والتوى : الهلاك . توى كرضى ، هلك . يميكن نفسه لأن حلول الشيب من نذر الهلاك ، يقول إن العود إذا ذبل ، وماء الشباب إذا جف فأيقن بأن عاقبة ذلك الموت والهلاك لا محالة .

(٢) شجيت : أى حزنت ، والشجا الحزن ، ويقال له للشجوشجى يشجى شجاً وشجواً ، والغصص : الاختناق . يقال من ذلك شجى يشجى شجاً إذا غص . وأجزضتني : خنقتني غصة الموت ، والجرض هو الاختناق بالريق ، يقال شجيت بالعظم وغصصت باللقمة ، وشرقت بالماء ، وجرضت بالريق ، وفي المثل حال الجريض دون القريض ، قال أبو على القالى وسألت ابن دريد عن بيت شعر يعد أن فليج بعامين تقريباً فقال : لئن طفت شجمتا عيني لم تجد من يشفيك من العلم ،

قال أبو على : ثم قال لى : يا بنى وكذا قال لى أبو حاتم وقد سأله عن شىء ثم قال لى أبو حاتم وكذلك قال لى الأصمعى وقد سأله عن شىء . قال أبو على : وآخر شىء سأله عنه جاوبنى أن قال لى يا بنى حال الجريض دون القريض . فكان هذا الكلام آخر ما سمعته . وعنودها : معارضها وهو ما عاند منها أى ما عارض يراه أشد إيلاماً من الغصة .

(٣) إن يحم : إن . حرف شرط ، ويحم جزم بالشرط وجوابه الفاء

لو كانت الأحلام ناجتني بما ألقاه يقظان لأصماني الردى^(١)

التي في قوله . فالقلب . يحسم : يمنع . والتجلد : التصبر . والسبيل : الطرق
واحدة سبيل ، وعنى بذلك الهوى الذى يأتى البكاء من أجله وسببه . والبكا
يمد ويقصر

(١) الاحلام : جمع حلم ، وهو ما يراه الانسان فى منامه قال الله عز
وجل (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) وناجتني : أخبرتنى واليقظان :
الذى ليس بنائم وجمعه أيقاظ قال الله عز وجل (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود)
لأصماني : أى لفتلتى مكانى بلا تأخير ، والاصماء القتل دون تلبث ، والتلبث
المكث يقال رمى فلان الصيد فأصماه أى أصاب مقتله قيل أرماء فأشواه ،
والشواه إخطاء المقتل قال ابن مقبل :

أرمى للنحور بها فأشوها ونثلنى ثم الاناء فأغدو غير منتصر
قال الاصمعى : يقال أشواه إذا لم يصب مقتله ، وشواه بغير ألف إذا
أصاب منه المقتل ، والهوى فى غير هذا الموضع اليسدان والرجلان ، قال
امرؤ القيس :

سلم الشظى عبل الشوى شنج النساء له حجبات مشرفات على الفال
والشوى أيضا الشىء الهين الحقير ، قال الشاعر :

وكننت إذا الأيام أحدثن هالكاً أقول شوى مالم يصب صميمى
أى هين ، ويقال : كل ذلك شوى مالم دينك أى هين ، مالم يصب دينك
لأن المصيبة أعظم ما تكون فى الدين ، وهى فى غير الدين صغيرة ، ومنه
قولهم فى الدعاء ، اللهم لا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر
همنا ، والشوى أيضا رذال المال قال الشاعر :

وإنك ماسيت نفسا شحيحة عن المال فى الدنيا بمثل المجاوع
أكلنا الشوى حتى إذا لم ندع شوى أشرنا إلى خيراتها بالأصابع
والشوى أيضا جمع شواة وهى جلدة الرأس قال الله عز وجل (إنها لظى)

منزلة ما خلقتها يرضى بها لنفسه ذو أرب ولا حجا^{١)}
 شيم سحاب خلب بارقه وموقف بين ارتجاء ومنى^{٢)}
 في كل يوم منزل مستو بل يشف ماء مهجتي أو مجتوى^{٣)}

نزاعة للشوى (أى جلود الروس . وقال الأعشى :

قالت قتيلة ماله قد جللت شيبا شواته
 أم لا أراه كما عهدت صحا وأفصر عاذلانه

الردى : الهلاك وتصريفه ردى يردى قال الله عز وجل (واتبع هواه فتردى) أى فتهلك . يقول لو أرتقى الاحلام الأمر الذى أريته فى اليقظة لها كنت بما أرى فى المنام . فكيف فى وأنا ألقى ما أجد فى اليقظة . (١) منزلة : أى درجة وجمعها منازل . ماخلتها : أى ما حسبتها . وذو

أرب : أى ذر عقل يقال فلان أريب أى عاقل . والحجى : أيضا العقل .

(٢) الشيم : النظر إلى البرق خاصة ، إذا نظرت إليه من أى النواحي بأتى . والخلب : البرق يخلب النظر . ولكن لاماء فيه ، والارتجاء : من الترجى ضد اليأس وهو طلب الأمر المتوقع حصوله ، والمنى : جمع أمنية وهى من التمنى ، وهو طلب ما فيه عسر ، يقول إن آملى ضائعة وحالى كمن ينتظر السقيا من السحب المبرقة التى لاماء فيها ، ولكنى مع ذلك لا أياس بل أرجو وآمل حصول آمانى .

(٣) المنزل : الموضع . والمستو بل : المستثقل . والمجتوى : المستكره . ويشف : يستقى ، والاشتفاف : الاستقصاء يقال اششف فلان مافى الاناء إذا استقصاه . والمهجة : النفس ، وجمعها مهج ، وقيل المهجة دم القلب ، والمجتوى المسكروه يقال اجتويت البلاد إذا كرهتها ، وإن كانت موافقة لك ، واستوبلتها إذا لم توافقك وإن كنت غير كاره لها .

مَاخَلَّتْ أَنْ الدَّهْرَ يَشْنِي عَلَى

ضُرَاءَ لَا يَرْضَى بِهَا ضَبُّ الْكَدَى^{١)}

أَرْمَقُ الْعَيْشِ عَلَى بَرَضٍ فَانْ

رُمْتُ أُرْتَشَافًا رُمْتُ صَعْبَ الْمُتَشَى^{٢)}

(١) ماخلت : أى ماتوهمت ، ويشنئى : يردنى ويعطفنى ، يقال ثناء يشنئيه إذا عطفه ، والضراء : الصخرة الصماء ، وقيل الضراء : الأرض المشرفة ، والضرب مولع بالحفر فيها أبداً ، والضراء : مأخوذة من الضر الذى هو ضد النفع ، وتجمع على ضرورات على غير قياس ، وقال الأخفش لا واحد لها . والضرب : واحد الضباب وهو دواب تسكن الأرض الصلبة . والكدى : جمع كدية . وضباب الكدا : سميت بذلك . لكثرة حفرها فى الأرض .

(٢) الرمق : بقية الحياة ، وعيش رمق يمسك الرمق ، والرمقة ، بضم الراء وككتاب وسحاب وجبل ، البلغة أو قليل يمسك الحياة ، والرمق بضم الراء والميم الفقراء المتناغون بالرماق للقليل من العيش ، والترميح : العمل بعمله ولا يحسنه يتبلغ به وهو مرمق العيش . ومرفقه كمعظم إذا كان مضيقاً عليه مقترأ عليه رزقه . ارمق العيش : أى أسدده وأقطعه عن التعليل ، واختلف فى قول أبى بكر فيه فقال مرة أرمق بكسر الميم وقال مرة أرمق بفتحها فإذا كان أرمق بكسر الميم كان الفعل مبنيًا للمعلوم والفاعل أنا ، وإذا كان أرمق بالفتح كان الفعل لغيره على ما لم يسم فاعله فكان التقدير أعطى منه بقدر ما يمسك رمقى وهو مقدار القوت .

والبرض : العطاء القليل ، وقال بعض اللغويين البرض القليل من المام وقوله فان رمت : أى هممت ، وقيل عالجت . والارتشاف : أن يستقصى

أراجع لي الدهر حولاً كاملاً
إلى الذي عوداً أم لا يرتجى^١
يادهر إن لم تك عيشي فائتد
فإن إروادك والعتي سوا^٢
رفه على طالما أنصبتني
واسبق بمض ماء غصن ملتحى^٣
لا تحسبن يادهر أني ضارع
لنكبة تعرفني عرق المدى^٤

شرب مافي الاناء وهو دين الاشتفاف في الاستقصاء، والاشتفاف عندهم عيب. والمنتشى: المطلب البعيد.

(١) الحول: السنة، وراجع أي مرجع ومعيد يقول: أراجع لي الدهر من أيامي السالفة الغنية بالنعمة والشباب والقوة حولاً واحداً بأكمله بمعنى به كعادتي أم أن الدهر لا يرتجى منه ذلك

(٢) العتي: الرضى وهو الرجوع إلى المراد. فائتد: ارفق يقال من ذلك التأتد يتأتد اتئاداً واسم الفاعل متئد. والارواد: الرفق والمهل أرود يرود إرواداً فهو مرود، ويقال أرود به أي رفق. ومنه قوله عز وجل (فهل الكافرين أمهاتهم رويداً) وسوا: كسواء أي مثل ومستو.

(٣) رفه: أي وسع على ورغد عيشي. وطالما: أي زمنا طويلاً. وانصبتني: بالصاد غير المعجمة أتعبتني من النصب وهو التعب، ويروى أنصبتني بالضاد المعجمة وياه تحية مثناة بعدها، بمعنى هزلتني وأضعفتني، والضنى الهزال يقال من ذلك ضنى يضنى ضنى إذا ضعف وهزل، وأضناني المرض أهزلى. والملتحى: المقشور، يقال لحوت العود ألحوه لحوا ولحيته أيضاً ألحاه لحياً، واللحا: قشر العود. يقول إنه كفصن ضعيف ذهبت أحداث الزمن بلحاه رقشره.

(٤) الضارع: الذليل الخاضع. والنكبة: المصيبة والشدة. وتعرفني: أي تزبل لحى عن عظمى من قرلهم عرقت العظم أعرقه عرقاً إذا أكلت

مع مارست مَنْ لو هَوَتْ الأفلاكُ مِنْ

جوانبِ الجوِّ عَلَيْهِ مَا شَكَ^١

ما عليه من اللحم . والمدى : السكاكين واحدها مدية . يقول إنه مع ما وصلت إليه حالته لا يذل ولا يلين ولا يخضع .

(٤) مارست : التمام مفعول يعنى نفسه وهو من الممارسة وهى المعالجة أى عالجته وقيل خالطت أو قاسيت . وهوت : سقطت ، يقول : لو سقطت عليه الأفلاك بالشدائد والمصائب ما شكك ذلك إلى أحد . والأفلاك : جمع فلك بالتحريك وهو مدار النجوم وفلك كل شىء مستداره ومعظمه ويقول المنجمون إنه سبعة أطواق درن السماء قد ركبت فيها النجوم والكواكب السبعة فى كل طوق منها نجم وبعضها أرفع من بعض تدور فيها . والجو : الهواء الذى بين السماء والأرض ، يقول إنك يادهر فى قصوتك هذه كمن يمارس شخصا قويا شديد الاحتمال صبوراً على الشدة لا يعسباً بالمصائب تتلوها المصائب ، ولو أن السموات بأفلاكها وأجرامها هبطت عليه وهوت من كل جانب ما شكك ولا ذل . قال أبو على القالى تلميذ أبى بكر ابن دريد حين عرض لابن دريد فى آخر عمره فالج فسقى الزياق فبرىء منه وصح وعاد كما كان إلى إسماع تلامذته وإملائه عليهم ثم بعد حول تناول غذاء ضاراً فعارده الفالج فكان يحرك يديه حركة ضعيفة وبطل من محزمه إلى قدميه فكان إذا دخل عليه داخل ضج وتألم لدخوله وإن لم يصل إليه . قال أبو على : فكنت أقول فى نفسى إن الله عاقبه بقوله فى المقصورة :

(مارست من لو هوت الأفلاك . . . البيت)

وكان يصيح لذلك صياح من يمشى عليه أو يسلم المسال يسمعه الداخل وهو بعيد عنه ، وكان مع هذه الحال ثابت الذهن كامل العقل يرد فيما يسمعه ويسأل عنه رداً صحيحاً .

لِكُنْهَا نَفْثَةً مَمْدُورٍ إِذَا جَاشَ لُغَامٌ مِنْ نَوَاحِيهَا غَمًّا^(١)

رَضِيَتْ قَسْرًا وَعَلَى الْقَسْرِ رِضَى

مَنْ كَانَ ذَا سَخَطٍ عَلَى صَرْفِ الْقَضَا^(٢)

أقول : يغفر الله لأبي على فقد أساء الظن بالله وشنع على شيخه وأستاذه بغير حق ، فان بهن مرض ابن دريد بالفالج واتصاله بابن ميسكال الذين قيلت فيهما المقصورة أكثر من اثنتين وعشرين سنة فقد اتصل بهما قبل سنة ٢٩٧ هـ التي صنف فيها الجهرة للميكالي ومات سنة ٣٢١ هـ التي فُلج قبلها بعامين . ومتى كان المرض بالفالج أو بأشد منه بل بالموت انتقاما وعقوبة وما ذا كان يرجو أبو على لشيخه وقد علت سنة على التسعين غير أن يموت أم أن صاحب أعرافها لا يديننا مناديل يكبر على شيخه الا وحده صياحه ويعدده شكايته ثم عقابا !
(١) لكنّها : الهاء والالف كناية عن هذه القصيدة التي قالها ، والنفثة : ما يلقيه الرجل من فيه إذا بصق يقال نفثت الحية تنفث نفثة ونفثا إذا ألقت ريقها . وذلك الريق سم قاتل . والمصدور : الذي يشتكي صدره ومنه المثل لا بد للمصدور أن ينفث . وجاش : علا وارتفع ، يقال : جاشت إليه نفسه أي ارتفعت وقبل جاش اجتمع ، وكذلك جاشت النفس اجتمعت والاول أصح قال الشاعر :
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحى

واللغام : الزبد وهو ما يلقيه البعير من فيه ، يقال لغم البعير يلغم لغامة إذا رمى باللغام وهو الزبد والمغمم الفم ، ومنه تلغمت بالطيب إذا جعلته في ملاغمك والملاغم ما حول الفم ، وهي جمع ملاغم ، ويقال لغمت الشيء ألغمه لغما إذا خلطته فالتغم أي اختلط . وقوله من نواحيها : أي من جوانبها . وغما : بالغين المعجمة سقط يقال غما البعير الزبد إذا رماه بنفض رأسه ومشفره يتناثر من فيه ، ويقال إن غما معناه غطا من قولهم غميت الاناء إذا غطيته
(٢) القسر : القهر على المكره يقال قسره على كذا أي قهره عليه ، والسخط :

إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ إِذَا مَا اسْتَوَيَا عَلَى جَدِيدٍ أَدْنِيَاهُ لِلْبَلِي^(١)

الغضب ، يقول : إني رضيت مرغما لأن من يرض بالقضاء وسخطه رضى به مكرها إلزاما ولجوا لأنه لا سبيل له إلى غير ذلك .

(١) الجديدان : الليل والنهار ، وكذا الأجدان ، والمصران ، والملوان ، قال الشاعر :

ألا ياديار الحى بالسبعان أمل عليها بالبللى الملوان

السبعان بضم الباء موضع ببلاد قيس
والأسودان النمر والماء . والأسودان أيضا الليل والحرة . والايضان
اللين والماء . والخبز والماء أيضا قال الشاعر :

الايضان أربدا عظامى الماء والخبز بلا إدام

والاصفران : الذهب والزعفران . والأحمران : اللحم والخمر . والأطيان
النوم والنكاح ، والصحة والشباب ، والأعذبان : الريق والخمر . والحجران :
الذهب والفضة ، والأزهار : الشمس والقمر . والقمران أيضا : الشمس
والقمر . والخافقان المشرق والمغرب . والثقلان . الانس والجن . وهتل
هذا كثير . ولابن جنى كتاب اسمه جنى الجنتين في معرفه المثنيين (نشرته
مكتبة القدسي) ومذهب العرب في هذا الضرب من الكلام إذا كان الشيطان
يتواخيان ينسب الانكر منهما الى الأشهر كقولهم العمران في أبى بكر وعمر
فنسبوا أبا بكر الى عمر لأنه أقام في الناس أكثر من أبى بكر يعنى أن مدة
خلافته دامت أكثر مما دامت خلافة أبى بكر لأن أبا بكر كانت مدة خلافته
سنتين وثلاثة أشهر وتسع ليال وكانت خلافة عمر عشر سنين وستة
أشهر وخمس ليال . فلذلك صار عمر أشهر من أبى بكر ، وقال بعض
النحويين : إنما يغلب هنا الأخف على الأثقل كقولهم القمران للشمس والقمر
فغلبوا القمر لأنه مذكر والمذكر أخف من المؤنث كما أن المفرد أخف من
المضاف ، ولهذا غلبوا عمر على أبى بكر لأن عمر غير مضاف وأبو بكر اسم

ما كنت أدري والزمان مولع^١ بشت مملوم وتنكيث قوى^٢
أن القضاء قاذفي في هوة^٣ لا تستبيل نفس من فيها هوى^٤

مضاف ويستثقل أن يقال الأبا بكران . واستوليا : يعنى غلبا وملكا ، ويجوز أن يكون استوليا تبعا ولزوما من قولهم ولي فلان عمله إذا تبعه ولزومه ، وأتى على بناء استفعل . وأدنياء : قرباء . والبلى : الإخلاق ، يقال ثوب بال وخلق ودارس ، والبلاء يمد ويقصر فاذا كسرت أوله قصرت كما قال الشاعر :

ألا ياديأر الحى بالسبعان أمل عليها بالبلى الملوأ

وإذا فتحت أوله مددته كما قال الآخر :

والمرء يبليه بلا السربال مر الليالى وانتقال الحال

والملوان الليل والنهار أوطرفاهما وهو هنا يعزى نفسه ويسلمها بأنه مغلوب مقهور وأن كر العصور يبلى الأجسام ويذهب جدتها . ومعناه كاليبت قبله : إذا ذوى الفصن الرطيب فاعلم أن قصاراه نفاذ وتوى

(١) ما كنت أدري : أى ما كنت أعلم ثم حال بين أدري ، وما عملت فيه بحشو هذا البيت وجاء بالمعمول فيه فى البيت الذى بعده وهو قوله أن القضاء الخ ، وأن إذا وقعت فى باب الظ كفت من المفعولين تقول : ما ظننت زيدا عاقلا وما ظننت أن زيدا عاقل ، فزيد فى المسألة الاولى مفعول أول لظن وعاقلا مفعول ثان ، وفى المسألة الثانية كفت أن من المفعولين ، وعاقلا خبر أن . وقوله والزمان مولع : أى ملازم ومغرى به يقال أولعت بكذا إذا لزمته والشت : التشييت والتفريق . والمملوم : المجموع من قولهم لمه يلبه إذا جمعه . والتنكيث : النقض مأخوذ من قولهم نكث العهد إذا نقضه . والقوى جمع قوة وهى إحدى قوى العهد أى طاقاته ومن هذا أخذت القوة يصف الدهر وأحداثه وأنها غرام وولع بتفريق المجتمع وتشتيته وإضعاف القوة ووهنها (٢) القضاء : الحكم ، والمراد به أحكام الله سبحانه وتعالى على عباده ، بالغير والأحداث كأن النعمة الضافية التى كان فيها قد ألمته وصرفته عن التفكير

فان عثرت بعد هان وألت نفسي من هاتا فقولاً لآلعا
وان تكن مدتها موصولة

في زوالها أو تغيرها . وقاذفي : القاذف الرامي ، يقذفه في بئر إذا رماه فيها ،
والهوة : الحفرة يتسع أسفلها ويضيق أعلاها . وقوله لا تستبل : أى لا تبرأ
ولا تفيق ، يقال بل من مرضه وأبل واستبل إذا برى . وهوى : سقط من
فوق إلى أسفل يقال هوى يهوى هوياء قال الشاعر :

فشج بها الأماز فهى تهوى هوى الدلو أسلمها الرشاء

يقول : ما كنت أدري أن عاقبة أمرى وحالى ستبلغنى إلى ما أرى ،
وترمىنى فى هوة سحيقة لانجاة لمن وقع فيها ولا خلاص مع أن ذلك طبيعة فى
الزمان فما كان ينبغى لى أن أجهل ذلك وأصرف عنه ولا عمل له حساباً

(١) العثر : الزلل . ومعنى وألت : نجت وخلصت . يقال وأل فلان من
كذائمه وألا إذا خلاص منه ونجا ، والموئل مفعول وهو الملاجئ . يقال هذا
موئل فلان أى ملجؤه ومفرغه الذى يفرع اليه أى يلجأ اليه قال الله جل ذكره :
(بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً) أى ملجأ ومفرغاً . وأما آل فلان
إلى كذا بالمد فعناه رجع . يقال آل الأمر إلى كذا يؤول أو لا مثل قال يقول
قولا وقوله هاتا : إشارة إلى مؤنث بمنزلة هذا المذكر لأنه عائد على العثرة
المضمرة التى دل عليها قوله : وإن عثرت وتقديره إن عثرت عثرة بعدها ثم
وألت نفسى من هذه العثرة ، وإن شئت كان الضمير عائداً على الهوة فى البيت
الذى قبل هذا . والهوة : الحفرة وجمعها هوى ، وهاتا بمعنى هذه تقول العرب
هاتا فعلت كذا والمذكر هذا فعل كذا . وقوله لآلعا : أى لا نجاة ولا خلاص
ولعا دعاء للعائر بالسلافة إذا جئت به دون لا فان أتيت معه بلا فعناه لاسلامة ،
يقول : أما وقد علمت الزمان وبلوت الدهر أبا الأعاجيب فأتى إن أنج من هذه
العثرة فلا كون حذرا فان عثرت يا صاحبي مرة أخرى فقولاً لى لا نجوت أبداً .

بالحُتَفِ سَلَطْتُ الْأَسَى عَلَى الْأَسَى^(١)

إِنَّ أَمْرَ الْقَيْسِ جَرَى إِلَى مَدَى فَأَعْتَاقَهُ حِمَامُهُ دُونَ الْمَدَى^(٢)

(١) إن تكن مدتها : الهاء في مدتها عائدة على النسبة . والحُتَف : الموت وجمعه حُتُوف . والأسى : بضم الهمزة جمع أسوة أى تعزية . قال الشاعر ولقد علمت وإن ضربت لى الأسى أن الرزية يوم قتل دؤاد أى التعزى . والأسى بفتح الهمزة أى الحزن .

يقول : إن لم يكتب الله لى سلامة من هذه العثرة ، واتصلت بموتى فساتعزى عن حزنى ومصائبى بما أصاب الناس قبلى من ضروب البلاء والمحن . وكأنه رحمه الله ما كان يرجو فرجا فعمد إلى ذكر جماعة من المشهورين عدا عليهم الدهر وحال دون بلوغ أمانيتهم ، واتصلت مصيبتهم كما يقول بحتفهم .

(٢) إن امرأ القيس جرى إلى مدى : أى إلى غاية ، واعتاقه حمامه : أى منعه يقال اعتاقه وعاقه بمعنى واحد . والحمام بالكسر : الموت مأخوذ من قولهم حم الأمر أى قرب

وامرؤ القيس : اسمه حندج بن حجر بن عمرو المقصور وسمى بذلك لأنه اقتصر على ملك أبيه ابن حجر الأكبر وهو آكل المرار بن عمرو بن معاوية ابن كندة ، والحندج فى اللغة : رملة طيبة تنبت ألوانا من الزهر ، وأمه فاطمة وقيل تملك بنت ربيعة بن الحارث أخت كليب ومهمل . وكنية امرئ القيس أبو وهب وأبو الحرث ويلقب ذا القروح لقوله :

وبدلت قرحا داميا بعد صحة لعل منايانا تحولن أبؤسا

ويقال له الملك الضليل ، ومعنى امرئ القيس رجل الشدة ، والقيس فى اللغة الشدة ، وقيل القيس اسم صنم ولهذا كان الاصمعى يكره أن يروى قوله يا امرأ القيس فانزل . وكان يرويه يا امرأ الله ، وهو الذى قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه (أشعرهم قاندهم إلى النار) يعنى شعراء الجاهلية والمشركين .

ويروى (يتدهده في النار) قال دعبل لا يقود قوما إلا أميرهم . وقال عمر بن الخطاب للعباس بن عبد المطلب وقد سأله عن الشعراء : أشعرهم امرؤ القيس سابقهم خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصح بصر .

خسف : هو من الخسيف وهي البئر التي حفرت في حجارة فخرج منها ماء كثير وجمعها خسف . وافتقر هو من الفقير وهو فم القناة . عن معان عور يريد أن امرأ القيس من اليمن واليمن لم تكن لهم فصاحة نزار فجعل لهم معاني عورا فتح منها امرؤ القيس أصح بصر .

قالوا وامرؤ القيس يمانى النسب إلا أن داره ونشأته في نزار ، وهو أول من لطف المعاني ، واستوقف على الطلول ، وشبه النساء بالظباء والمها والبيض ، وشبه الخيل بالعقبان والعصى وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد وقرب مأخذ الكلام وقيد الأرابد وأجاد الاستعارة والتشبيه .

وكان من حديثه : أر أباه طرده لما قال الشعر يشيب بامرأة أبيه وهي أم الحويرث التي كان امرؤ القيس يذكرها في شعره فكان يتنقل في أحياء العرب ويستتبع الصعاليك والدؤبان منهم ويزير بهم على القبائل ، وكان أبوه ملك بني أسد فمسخهم عسفا شديدا فماتوا على قتله فقتلوه فلما باغ امرؤ القيس مقتله وهو يشرب الخمر قال ضيعني صغيرا وحملي ثقل الثأر كبيرا . اليوم خمر وغدا امر ، فأرسلت مثلا . ثم جمع جمعا من بكر بن وائل وغيرهم من صعاليك العرب فخرج بهم يريد بني أسد فخبّرهم كاهنهم بخروجهم إليهم فارتحلوا وبهم امرؤ القيس فوقع ببني كنانة فقتلهم قتلا ذريعا ، وأقبل أصحابه يقولون يا لثارات الهام ، يا لثارات الهام ، فقالت عجوز منهم واللات أيها الملك ما نحن بشارك وإنما نأرك بنو أسد وقد ارتحلوا فرفع عنهم القتل وأنشأ يقول :

ألا يالهف قلبي من أناس هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جد هم ببني علي وبالأشقين ما كان العقاب
وأفلتن علباء جريضا ولو أدركته صفر الوطاب

قوله ببني علي : يريد بني كنانة . نسبوا إلى علي بن مسعود الغساني وكان تزوج

أمرهم بعد أبيهم وربوا في حجره فتنسبوا إليه . ثم إن أصحاب امرئ القيس
اختلفوا وقالوا وقعت بقوم براء وظلمتهم فخرج إلى الين إلى بعض مقاوله حمير
وكان اسمه قرمل فاستجاشه فنبطه قرمل فذلك حيث يقول

وكننا أناسا قبل غزوة قرمل ورثنا الغنى والمجد أكرابرا
ثم توجه إلى قيصر ملك الروم ، وجعل طريقه على تيماء — حصن
للمسموال بن عاديا — فأردعه درعا وسلاحا وكان قد مشى معه صاحب يقال
له عمرو بن قننة الشاعر . فلما رأى عمرو بن قننة الدرب — وهو حاجز بين
بلاد العرب وبلاد العجم — بكى جزعا لفراقه بلاد العرب ودخول بلاد
العجم ففي ذلك قال امرؤ القيس :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصر
فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا
ثم سار حتى وصل إلى قيصر في ملكه . فاستأذن عليه فأذن له . فلما دخل
عليه قرب مجلسه وأدنى مكانه ، واتخذته نديما وجعله خلع عليه وأحسن إليه
ثم استعان به فوعده أن يرفده بجيش ، وكان امرؤ القيس جميل الوجه وكان
لقيصر ابنة حسنة جميلة فأشرفت يوما من قصرها فرآها امرؤ القيس في دخوله
إلى أبيها فتعلق بقلبه حبها وراسلها فأرسلت إليه فسار إليها فطرقها ليلا فذلك
حيث يقول :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي
وقيل إن أباها زوجها إياها وكان سبقه إلى قيصر رجل من أعدائه من بني
أسد يقال له الطامح فوثى به إلى قيصر فتذمم أن يقتله ، فوجهه معه جيشا ثم
أتبعه رجلا ومعه حلة مسمومة ، وقال له اقرأ عليه السلام وقل له إن الملك
قد بعث إليك بحلة قد لبسها ليكرمك بها وأدخله الخيام فإذا خرج ألبسه
إياها فلما لبسها نفط بدنه فكان يحمل في محفة فذلك حيث يقول :

لقد طمخ الطامح من بعد أرضه ليلبسني من دانه ما تلبسا
وبدلت قرحا داميا بعد صحة لعل منايانا تحولن أبوسا

وخامرت نفس أبي الجببر الجوى

حتى حواه الخنف فيمن قد حوى^{١)}

ثم نزل إلى جانب جبل وإلى جانبه قبر لابنة بعض ملوك الروم وكان اسم ذلك الجبل عسيبا فأنشأ يقول :

أجارتنا ان الخطوب تنوب واني مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا انا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب
فان تصليني تسعدى بهودق وان تقطعيني فالمزار عسيب
أجارتنا ما فات ليس يؤوب وما هو آت في الزمان قريب
وليس غريبان تناءت دياره ولكن من وارى التراب غريب
فلما أيقن بالموت قال :

رب طعنة مسحنفرة وجفنة مشعنجرة
قد غودرت بأنقره

المشعنجرة : السائلة المنتهبة . والمسحنفرة : الماضية . وأنقرة بلد بالترك يرثي
نذا نفسه يقول : كم من خصلة جليلة تجمعت قد تركت في هذا الموضع الذي
دفن فيه . فتضمنها قبره ، وأسلمته أحبته ثم مات فهناك قبره وهذه القصة لا تخلو
من انتحال . وابن دريد يتأسى بامرئ القيس ، ويقول : انه وهو سليل الملوك
الاعضاء رام أن يدرك مراما وقصدا ويثأر لأبيه وبرث ملكه خالات الاقدار دون
بلوغ مآرامه وعاقته المنية عن نيل مآربه

(١) خامرت : خالطت ، ومنه سميت الخمرة لمخالطتها العقل وتغطيتها عليه .
والجوى : مقصور مفتوح داء في الجرف . وقيل الجوى . تأثير الحزن في
الجرف ، يقال من ذلك جوى يحوى جوى ، والجواء مكسور ويمرود . اسم
أرض ، قال الشاعر :

عفا من آل فاطمة الجواء فيمن فالقوادم فالهساء

وابن الأشج القليل ساق نفسه إلى الردي حذار لاثمات العدى^(١)

ويقال الجوا. هنا : جمع جو وهو البطن من الارض . وقوله حواء : أى حازه . والخنف . الموت وجمعه احتوف

وأبو الجبر : هو ابن عمرو السكندى من ملوكهم ، خرج الى كسرى يستجيشه على قومه فأعطاه جيشا من الاساورة ، فلما عساروا بكاطمة نظروا الى وحشة بلاد العرب فقالوا أين نذهب مع هذا فعمدوا الى سم فدفعوه الى طبائخه ووعدوه بالاحسان اليه وأمروه أن يلقيه فى أحب الألوان اليه وأكرمها عليه ففعل فلما استقر فى جوفه اشتد وجعه فدخلوا عليه وقالوا قد بلغت الى هذه الحال فاكتب لنا الى الملك أنك قد أذنت لنا ، فلما كتب لهم ورجعوا خف ما به فرحل الى الطائف الى الحارث بن كلدة الثقفى طبيب العرب فداواه نرى . فأهدى اليه سمية وهى أم زياد وعبيد وهو الذى كان زياد ينسب اليه أولا . وارتحل يريد اليمن فانتقضت علته فمات فى الطريق فقالت عمته كبشة ترثيه :

ليت شعرى وقد شعرت أبا الجبر	ربما قد لقيت فى الترحال
أتمطت بك الركاب أبيت الـ	لمعن حتى حلت بالآقتال
أشجاع فأنت أشجع من لي	ث هموس السرى أبى الاشبال
أجواد فأنت أجود من سي	ل تداعى من مسبل هطال
أكرم فأنت أكرم من ضم	ت حصان ومن مشى فى النعال
أنت خير من ألف ألف من الق	وم إذا ما كفهرت وجوه الرجال

تمطت فى السير امتدت ، والآقتال الاعداء ، والهموس الحفى الوطم .

(١) العدى : والعدا ، والعداة ، والاعداء واحد ، والعدى أيضا مكسور مقصور الغرباء ويكتب بالياء قال الشاعر :

إذا كنت فى قوم عدى لست منهم فكل ما علفت من خبيث وطيب
وأما العدا بالكسر والمد : فالموالاة بين الشيئين ، وهى المتابعة ، قال الشاعر

فعداى عدااء بين تيس ونعجة دراكا ولم ينضح بماء فيغسل
والقيل : الملك دون الملك الأعظم أو من ملوك حمير وجمعه أقيال ومقاولة
ومقاولات وأقوال . وساق نفسه إلى الردى : أى الهلاك يقال من ذلك
ردى يردى إذا هلك قال الله تعالى (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها
واتبع هواه فتردى) . وإشتمات العدى : تشفيهم وفرحهم بما يغبطه ويؤمله .
وهو وان كان قتل نفسه فقد أشتهم فيه ، ولكن حسبه أن لم يمكنهم من التشكيل
به وتعذيبه لو وقع فى أيدي أعدائه .

وكان من حديث عبد الرحمن بن الأشعث أن الحجاج استعمله على سجستان
وما اتصل بها فحارب من هناك من أمم الترك والهند ثم خلع طاعة الحجاج
وسار إلى بلاد كرمان فثنى بخلع عبد الملك وانقاد لطاعته أهل الرى والجبال
عما بلى الكوفة والبصرة واتبعه قراء العراق وعلماءهم كسعيد بن جبير
والشعبى فسار الحجاج لقتاله فكانت بينهما حروب عظيمة وكتب عبد الملك
إلى الحجاج يقول : لعمري لقد خلع طاعة الله يمينه وسلطانه بشماله وخرج
من الدين وإني لأرجو أن يكون هلاكه وهلاك أهل بيته واستئصالهم فى ذلك
على يدى أمير المؤمنين وما حاله عندى فى خلع الطاعة إلا كقول الشاعر
أناة وحلما وانتظارا بهم غدا فما أنا بالوانى ولا الضرع الغمر
أظن خطوب الدهر يبنى ويهينهم ستحملهم منى على مركب وغر
ودخل ابن الأشعث الكوفة وكتب الحجاج إلى عبد الملك يذكر كثرة جيوش
ابن الأشعث ويستنجده ويسأله الامداد . ويقول فى كتابه : واغوثاه واغوثاه
واغوثاه . فأمدده عبد الملك بالجيوش وكتب إليه يالبيك يالبيك .
وكانت بين ابن الأشعث والحجاج نيف وثمانون وقعة فى منها عدد من الخلق :
وكان ذلك فى سنة ٨٢ هـ فكانت على ابن الأشعث فمضى إلى ملوك الهند واحتال
الحجاج وبذل الاموال العظيمة حتى وجه به للحجاج أحد ملوكها فلما سارت
رسل الحجاج به باتوا على سطح مرتفع وكان قد قرن إلى رجل من بنى
تميم بسلسلة فى أيديهما وكان التميمى معه أسيرا ، فلما كان جنح الليل قال للتميمى

قم معي لأبول . فلما قام معه أشرف من السطح ولف عليه ثوبه وجمع ثيابه فقال
له التميمي : ما تصنع أيها الأمير قال الساعة أعلبك . ثم رمى بنفسه فوقع هو
والتميمي فماتا جميعا ، وحمل رأسه الى الحجاج . فوجه الحجاج برأسه الى
عبد الملك مع عرار بن عمرو بن شأس الأسدي

وروى أن صاحب اليمن كتب الى عبد الملك إنني قد وجهت إلى أمير
المؤمنين بخارية اشتريتها بمال عظيم لم يرى مثلهما فلما دخل بها رأى وجهها
جميلا وخلقا نبيلًا فالقى اليها قضيبا كان في يده فتكست لتأخذه فرأى
منها جسما بهره فلما هم بها أعلمه الأذن أن رسول الحجاج بالباب فأذن
له ونحى الجارية فاعطاه كتاب عبد الرحمن :

سائل مجاور جرم هل جنيت لها حربا تزيل بين الجيرة الخلط
وهل سموت بجرار له لجب جم الصوارم بين الجمل والفرط
وهل تركت نساء الحى ضاحية في ساحة الدار يستوقدن بالغبط
وتحتنه : والنمر من ولد الأراقم ماجد صلت الجبين معاود الاقدام
خلع الملوك وصارت تحت لوائه شجر العرى وعراعر الاقوام
فكتب عبد الملك الى الحجاج : يكفيك ما أوصى به البكرى أخاه زيدا :

وجعل في طيه جوابا لابن الأشعث فيه :

مابال من أسعى لأجبر عظمه حفاظا وينوى من سفاهته كسرى
أظن خطوط الدهر بينى وبينه ستحملهم منى على مركب وعر
وإني وإياهم كمن نبه القطا ولولم تنبه باتت الطير لا تسرى
أناة وحلما وانتظارا بهم غدا قما أنا بالوائى ولا الضرع الغمر
وبات عبد الملك يقلب كف الجارية ويقول ما أفدت فائدة أحب إلى منك
فتقول ما بالك يا أمير المؤمنين وما يمنعك ؟ فيقول ما قاله الاخطل لأنى إن
خرجت منه كنت ألام العرب

قوم إذا حاربوا شدوا ما أزرهم دين النساء ولو باتت بأطهار
فما اليك من سبيل أو يحكم الله بينى وبين عدوى ابن الأشعث فلم يقربها حتى

واخترم الوضاح من دُونِ التي أمْلأها سيفُ الحِمَامِ المنتَضِي^١

قتل ابن الاشعث

الجم والفرط : موضعان ، ويستوقدون بالغبط : الغبط مراكب النساء
ولليأس من الرحيل أحرقن مراكهن أو لحوفهن من الاحتطاب أحرقنها
والشعر الذي تمثل به عبد الرحمن خلع الملوك المهمل ، ويروى قتل الملوك
أما البكري فهو موسى بن جابر الحنفى ، ويقال إن الحجاج لم يدر ما عناء
عبد الملك فنأدى مناديه من يعرف ما أوصى به البكري أخاه زيدا قضيت
حوائجه ، فقال أعرابي بيابه أنا أعرف ذلك فأدخل على الحجاج فأنشده :
فقلت لزيد لا تثرثر فأنهم يرون المنيايا دون قتلك أو قتلى
فان وضعوا حربا فضعها وإن أبوا فشب وقود النار بالخطب الجزل
فان رفعوا الحرب العوان التي ترى فعرضة نار الحرب مثلك أو مثلى
فقال الحجاج : وأبيك إنما لهى .

فهذا معنى قوله ساق نفسه الى الردى . حذار إشارات العدى

(١) الاخترام : الهلاك يقال اخترمته المنية أخذته والقوم استأصلتهم
اقتطعتهم والخرم النقص ، ومنه الخرم فى الشعر وهو ذهاب الفاء من فعولن
أو الميم من مفاعلن . والخصام : الموت . والمنتضى : المسلول من قولهم :
انتضيت السيف انتضيه انتضاء إذا أخرجه من غمده ، واسم الفاعل منتض ،
واسم المفعول منتضى ، ويقال سيف منتضى أى مجرد .

وكان من حديث الوضاح واسمه جذيمة الأبرش وهو ابن مالك بن فهم
ابن الأسد بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن يشجب
ابن يعرب بن قحطان ، وقال السائب بن السكبي : إن جذيمة من العرب الاولى
من بنى إباد بن أيم وكان فى أيام الطوائف ، وقال أبو عبيد : كان جذيمة بعد
عيسى عليه السلام بثلاثين سنة وكان قد ملك شاطيء الفرات إلى ما وراء ذلك
إلى السواد ستين سنة وكان يكنى بأبى مالك . وكان الملك قبل جذيمة أباه وهو

أول من ملك الخيرة كان أبرص . فهابت العرب أن تقول أبرص فقالت الأبرش والوضاح ، وقيل سمي الأبرش لأنه أصابه حرق نار فبقي أثره نقطا سوداء وحمرام وقصير هو ابن سعد اللخمي وكان من حديثهما أن جذيمة وكان في أيام ملوك الطوائف قد ملك شعلى الفرات الى صراة وكان قد قتل أبا الزباء وغلب على مملكها ، وألجأ الزباء الى أطراف مملكته وكان يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم على كثير مما في أيديهم

وكانت الزباء مملكة أدبية عاقلة فبعثت اليه تخطبه على نفسها ليتصل مملكها بمملكة . فدعته نفسه الى ذلك فشاور وزراءه في ذلك فكلهم أشار عليه أن يفعل إلا قصير بن سعد فانه قال : أيها الملك لا تفعل فان هذا خديعة ومكر . فعصاه وأجابها الى ذلك فقال قصير عند ذلك : — لا يطاع لقصير أمر وقيل رأى ، فأخرجها مثلا . ثم كتبت إليه بعد ذلك أن سر إلى ، فجمع أصحابه بيقه وهي قرية على الفرات ، وشاور وزراءه فأشاروا عليه بالخروج إلا قصيرا فقال : أيها الملك أما اذ عصيتني فأذاوأيت جندها قد أقبلوا اليك فان ترجلوا وحيوك ثم ركبوا وتقدموا فقد كذب ظني ، وان رأيتهم إذا حيوك طافوا بك فان معرض لك العصا . وهي فرس لجذيمة لا تدرك . فاركبها وانج بنفسك . فلما أقبل جيشها حيود وطافو به فقرب اليه قصير العصا فشغل عنها فركبها قصير وأخذ جذيمة فنظر الى قصير على العصا ، وقد حال السراب دونه . فقال : — ماضل من تجرى به العصا — فأخرجها مثلا وأدخل جذيمة على الزباء وكانت وفرت شعر عانتها حولا . فلما دخل انكشفت له ، وقالت أمتاع عروس ترى يا جذيمة ؟ قال بل متاع أمة بظراء قالت أما إنه ليس من عوز المواسي ، ولا قلة الأراسي ، ولكنها شيمة من أناسي ! وأمرت به فأجلس على نطع وجيء بطست من ذهب فقطعت راحشيه ، وفي ذلك قال الشاعر :

وقد مت الأديم لراشيه وألني قوله كذبا ومينا

وكان قد قيل لها احتظي بدمه ، فانه اذا أصابت الأرض منه قطرة أخذ بشاره

فَقَدْ سَمَا قَبْلِي زَيْدٌ طَالِبًا شَأَوُ الْعُلَافَا وَهِيَ وَلَا وَتَنِي^(١)
فَاعْتَرَضْتُ دُونَ الَّذِي رَامَ وَقَدْ جَدَّ بِهِ الْجَدُّ الْأَشِيمُ الْأَرَبِي^(٢)

فقطرت قطرة من دمه على الأرض . فقالت لا تضيعوا الملك . فقال جذيمة :
دعوا دما ضيعه أهله فأرسلها مثلاً ومات . وقيل إنه هو الذي بعث إليها يخطبها ،
فكسبت إليه إني فاعلة ومثلك يرغب فيه فإذا شئت فاشخص إلى فجمع عند
ذلك جذيمة وزراره واستشارهم كما تقدم .

(١) سما : علا . والشأو : الغاية ، وقيل الشأو : البعد ، والشأو : طلق
الفرس يقال جرى الفرس شأوا أو شأوين . والعلا : الشرف . وماوهي
أى ما ضعف ، وقيل وهى : انصدع . يقال وهى وهى وهيا ، وأصل
الوهى الشق ، قال الله عز وجل (وانشققت السماء فهى يومئذ واهية) ولأوفى :
أى ولا فتر . قال الله عز وجل (ولا تنفيسا فى ذكرى) أى ولا تفترأ ،
وتصرفه ونى بنى ونيا واسم الفاعل : وان ، يقول إن لى يزيد وهو ابن المهلب
أسوة فقد سمت همته إلى طلب الخلافة وانتزاعها من بنى أمية ولم تضعف عزيمته
ولم تن قوته حتى كاد أن يتم له ذلك وينال الخلافة
وكان من حديث يزيد بن المهلب بن أبى صفرة أنه خرج على بنى أمية
وخطب له بالبصرة وسلمت عليه جارية من جواريه بالخلافة والعباس بن
الوليد بن عبد الملك بإزائه فقال لها :

رويدك حتى تنظري عم تنجلي غياية هذا العارض المتألق
فدست إليه بنو أمية رجلا من كلب يقال له الفحل أو ابن الفحل وكان ذا
بأس شديد وإقدام فقتله فى بعض خلواته ، فقال شاعر من كلب فى ذلك
قتلنا يزيد بن المهلب بعد ما تمنيت أن يغلب الحق باطله
وما كان فى أهل العراق منافق عن الدين إلا من قضاة قاتله
ثم صفا الأمر لبنى أمية .

(٢) فاعترضت : أى بدت ، وقيل معناه عارضت وفيه تقديم وتأخير . أى

هل أنا بدعٌ من عرائينِ علا . جادَ عليهم صرفُ دهرٍ واعتدى^(١)
فإن أنا لنتى المقاديرُ الذى . أكيدُهُ لم آلُ فردأبِ الشأى^(٢)
وقد سماَ عمرؤ إلى أوتارِهِ . فأحتطَّ منها كلٌّ على المستمى^(٣)

فاعترضت اللهم الأربى دون الذى رام . ومعنى رام : طلب . وجد : حث
وأسرع . وجد : اجتهد . وجد أيضا فى غير هذا الموضع : قطع .
واللهم الأربى : اسمان من أسماء الداهية وأصل الداهية الشدة . ويقال
لها أم النعيم . والجد : العزم . والجد أيضا : الحق . يقول : إن الدواهى
والبلايا انترضت يزيد وحالت دون الوصول إلى ما تمنناه رغم جده
واجتهاده ومواتاة الحظله أول الامر فلى فيه أسوة أوعزام لما أصابنى .

(١) البدع : الذى يكون أولا فى كل أمر قال الله عز وجل (قل ما كنت
بدعا من الرسل) أى لست بأول مرسل . والعرائين : الأشراف واحدهم
عرنين ، والعرنين : الأنف وإنما سمى الشريف عرنينا لأنه كالعرنين فى
الوجه وهو أرفع ما يكون . وجاد : عدل عن الحق أى مال عنه ، وصروف
الدهر : أحداثه ونوائبه ، واعتدى : من العدوان ظلم . يقول لست نمطا
من الناس وحدى ولا أمة ولا بدعة حتى أنجو من صروف الأقدار التى تعرض
لها أشراف الناس ومال عليهم الزمن بعاديته

(٢) فإن أنا لنتى : أى أعطيتى ، والمقادير : جمع مقدار وهو القدر . واكيدُهُ
أطلبه ، واحتال عليه . لم آل : لم أقصر . رأب : إصلاح من قولهم
رأبت الشيء رأبه رأبا . والشأى : الفساد ، ومعناه لم أقصر فى إصلاح
ما فسد من حالى إذا قدر لى بلوغ ما أرجوه . واحتال له وهكذا الإنسان مولى
أبدا بالآمال .

(٣) سما : علا . والأوتار : جمع وتر وهو طلب الدم . واحتط منها . أى
أنزل . والمستمى : المكان العالى المرتفع وهو مفتعل من سما إذا ارتفع وزيدت

فَاسْتَنْزَلَ الزَّبَّاءَ قَسْرًا وَهِيَ مِنْ عَقَابِ لُوحِ الْجَوِّ أَعْلَى مُنْتَمَى^(١)

الثاء فيه لبناء افتعل كما زيدت في استجاب يقول : ان عمرو بن عدى الخمي نال أمانيه وأدرك ثأره من الزبباء واستنزلها من مقاقلها المنيعه

(١) الزبباء : اسم ملكة تدمر . والنقسر بالسين القهر والغلبة : والعقاب طائر معلوم وهو من سباع الطير وجمعه عقبان . واللوح الهواء الذي بين السماء والأرض ، واللوح أيضا العطش بضم اللام فيهما . والجو أيضا ما بين السماء والأرض . ومنتمى أى موضع مرتفع لايه . وهو مفتعل لأنه اسم مفعول من نمت الشيء إذا رفعته واسم الفاعل منتم ، وفي هذا البيت تقديم وتأخير تقديره فاستنزل الزبباء قسرا وهى أعلى منتمى من عقاب لوح الجو أى فى منعها أكثر امتناعا من العقاب الذى فى الجو .

وأما عمرو فهو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن الحارث ، وكان ابن أخت جذيمة الأبرش وكان من حديثه ان الزبباء لما قتلت محاله جذيمة كما أسلفنا ونجا قصير بن سعد القضاعى على العصا سار إلى عمرو وقال : ألا تطلب بثأر خالك . قال وكيف أقدر على الزبباء وهى أمتع من عقاب الجو فأرسلها مثلا . فقال له قصير اجدع أننى وأذننى واضرب ظهري حتى تؤثر فيه ودعنى وإياها فألحق بها وأقول قد فعل بى عمرو ما ترين من أجل أنه اهتمنى فى أمر محاله ففعل به ذلك فلما سار اليها ورأت ما به قالت : لأمر ما جدع قصير أنفه ، فأرسلها مثلا ثم أخبرها بذلك وقال لها قد لقيت هذا من أجلك . فقالت وكيف كان ذلك ؟ قال زعم أنى أشرت على خاله بالخروج اليك حتى فعلت به ما فعلت ، فوعده من نفسها بالاحسان فأحسن خدمتها وأظهر النصيحة لها حتى حسنت منزلته عندها ، وزين لها التجارة والأسفار فبعثت معه مالا وإبلا إلى العراق فسار قصير إلى عمر مستخفيا فاخذ منه مالا وزاده على مالها فاشترى طرائف من طرائف أهل العراق ورجع اليها فأراها تلك الأرباح فسرت . ثم كر كرة فأضعف لها المال حتى عجزت من فعله وازدادت

به غبطة وسرورا . فلما كان في المرة الثالثة اتخذ جوالق كجوالق المال وجعل ربطها من أسافلها الى داخل وأدخل في كل جوالق رجلا بسلاحه . وأقبل اليها وأخذ غير الطريق فكان يسير الليل ويكون النهار وأخذ عمرأ معه وكانت الزباء قد صور لها عمرو قائما وقاعدا وراكبا وكانت قد اتخذت نفقا أجرت إليه الماء من قصرها الى قصر أختها زنبية (مصغر زينب) وكان قد بعد عنها خبر قصير فسألت عنه فقيل لها أخذ الغوير وهو مريض فقالت . عسى الغوير أبوسا . فأرسلتها مثلا قال ابن الكلبي والغوير ماء لبنى كلب ودخل قصير على الزباء وقد تقدم العير فقال لها قني فانظري إلى العير فرقت سطحها لها فجعلت تنظر الى العير مقبلة تحمل الرجال تمشي قليلا قليلا فأنكرت ذلك المشى وقالت :

ماللجمال مشيها وثيدا أجندلا يحمان أم حديدا
أم صرفانا باردا أشديدا أم الرجال جئنا قعودا

ويروى : بل الرجال قبضا قعودا ، فأتوها الى حصنها ، وقد أظلم الليل وشغلت بشيء ولم ترتب حاجبا على الباب ، وكان عمرو قد وصف له قصير باب النفق ، ووصف له الزباء فلما دخلت العير المدينة ، وعلى البواب البوابون من النبط ، ومنهم واحد في يده مخضرة ، وهو سفود ، قطع جوالقها بالقاهرة فأصاب رجلا فضرط فصار البواب بالنبطية يشتتا يشتتا ، وتسميره بالعربية الشر بالشر فانتضى قصير سيفه فضرب به البواب فقتله ، وجاء عمرو على فرسه فدخل الحصن بعقب الابل ، وابتكرت الابل ، وحملت الرجال الجوالقات ، ومشوا في المدينة بالسلاح . فسار قصير ومن معه حتى دخلوا قصر الزباء ، وكانت تعرف عمرأ على كل حال من أخوانه . تريد بذلك أن تعرفه لتكون كلما نظرت إليه أخذت حذرهما منه . فلما رأيت الزباء عمرأ ولت هاربة تريد النفق لكي تنجو فيه فلحقها عمرو فلما علمت أنها لا تفلته مصت عاتما كان في يدها مسموما وقالت بيدي لا ييد عمرو . — فأرسلها مثلا ، وماتت مكانها ، وقيل إن عمرأ جلها بالسيف واستباح بلادها ، واستولى

وسيف استعلت به همته حتى رعى أبعد شأو المرتضى^(١)

على ملكها وعظم أمره وهابته الملوك لما كان من حيلته في الطلب بثأره حتى أدركه وخلف عمره في بلاد الزباء من يحكمها ، ورجع هو وقصير بالغنائم فيقال إن ذلك أول سبي قسم في العرب من بلاد الروم ، وكان ملك عمرو نيفاً وميتين سنة ومن عقبه النعمان بن المنذر

(١) هو سيف بن ذى يزن ملك اليمن ويكنى أبي مرة ، وله قصة عجيبة نذكرها بعد واستعلت : أى علت وارتفعت يقال علا واستعلى بمعنى واحد . والشأو : الغاية ، وشأو كل شئ مغايته ، وشأو الفرس طلقه قال الشاعر في تنيته : إذا ماجرى شأوين وابتل عطفه تقول هزى الريح مرت بأناى المرتضى . موضع الرمى ، وهو الذى يقال له الغرض ، ويقال له أيضا الهدف ، ويقال له أيضا القرطاس .

وكان من حديث سيف بن يزن أن الحبشة لما استولت على اليمن وغلبت عليها حمير بعد حروب كثيرة كانت بينهم وبين حمير إلى أن هزمهم الحبشة وأغرق ذو نواس آخر ملوكهم نفسه في البحر أنفة من استيلاء الحبشة على ملكه وخوفا من العار وذو نواس هو صاحب الأخدود الذى جاء ذكره في القرآن الكريم ، فاقام الحبشة باليمن اثنتين وسبعين سنة فلما طال عليهم البلاء وطال مكثهم خرج سيف وهو من أهل بيت المملكة الى الروم يستنصر قيصر ، فشكى اليه ما هم فيه وسأله أن يخرجهم عنه ويلبهم هو ويبعث اليهم من يشاء من الروم فيكون له ملك اليمن فشاور وزراءه فقالوا له . أيها الملك ، إن الحبشة في دينك ، ودين هذا العربى مخالف دينك فهاطله ، وكره قيصر أن يخفّره بعد ما وعده . فلما طال الامر عليه خرج حتى أتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الخيرة وما يليها من أرض العراق فشكى اليه أمر الحبشة فقال له النعمان إن لى على كسرى وفادة في كل عام فأقم حتى يكون ذلك ففعل ثم خرج معه فأدخله على كسرى وكان كسرى يجلس في ايوان مجلسه الذى

فيه تاجه وكان عظيما مضروبا فيه الياقوت والزبرجد واللؤلؤ بالذهب والفضة
 معلقا بسلسلة من ذهب في رأس طاقه في مجلسه ذلك فاذا استوى في مجلسه
 كشفت عنه الثياب فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك إلا برك هيبه له فلما دخل عليه
 سيف بن ذى يزن برك وقال أبو عبيدة لما دخل عليه طأطأ رأسه فقال الملك
 ان هذا الاحق يدخل على من هذا الباب العظيم ثم يطأطأ رأسه ففعل ذلك
 لسيف فقال إنما فعلت هذا لعمى لأنه يضيق عنه كل شيء . ثم قال سيف : أيها
 الملك غلبتنا على بلادنا الاغربة فقال له الترجمان . يقول لك الملك أى
 الاغربة الهند أم الحبشة ؟ فقال : بل الحبشة ، وجئت الى الملك لينصرفني
 عليهم فنسكون في دينه ، فانه أحب إلى أن يملكني وقومى من أن تملكني
 الاغربة . فقال له الترجمان . الملك يقول لك هيات هيات . بعدت عنا
 أرضك ، وهى مع ذلك أرض قليلة الخير ، وإنما بها الشاء والبعير ، وهذا
 لاحاجة لنا فيه . وأمر له بعشرة آلاف درهم فقبضها فلما خرج من عنده وهبها
 على باب الملك . فوجد عليه وأمر برده اليه فقال له الترجمان : الملك وجد
 عليك . فقال . ولم ذلك ؟ فقال عمدت الى حباء الملك وكرامته . فأنهتته
 العبيد والاماء . فقال : وما أصنع بالمال ؟ وما جبال أرضى التى خرجت
 منها إلا ذهب أو فضة ، وإنما كانت إرادته أن يرغب الملك في بلاده فلما
 سمعه الملك أمره بالقيام ووعدته بكل ما يحبه ، وأن يوجه معه جيشا . ثم إن
 الملك جمع وزراءه ومرأسته وشاررهم في ذلك فقالوا له . أيها الملك . أما
 انراى عندنا فأن لا توجه جنودا من جنود فارس في مغازى العرب . حيث
 لا ماء ولا كلاء ، وإنما يشرب فيها الماء من عيون مثل عيون الديكة . فان
 غورت عليهم ماتوا عطشا . فقال ما كنت لأخفرك بعد أن وعدته . ولا
 بد أن أبلغه أملة وأرعى قصده الى ، فقالوا إن كان الأمر هكذا فأن هنا
 رأيا . قال وما هو ؟ قالوا . تبعث إلى مسجونك فأن فيها قوما قد استحقوا
 القتل . وإنما حبستهم منة منك عليهم بأرواحهم . واستبقاهم لهم فتخرجهم .
 وترأس عليهم رئيسا من غيرهم ذا رأى وحزم وبصر بالحروب . فأن
 ظفروا فانه ملك زدته الى ملكك وإن أصدبوا فهو الذى أردته بهم .

فبعث الى السجون فجمع من فيها من يستحق القتل . فكانوا عشرة آلاف رجل
 فرأس عليهم وهرز . وكان من الأساورة المتقدمين . عالما بالحروب . وقد
 أنت عليه مائة وعشرون سنة وسقط حاجباه على عينيه كبرا وهرما . فجعلهم
 في البحر في ثمان سفائن ففرقت سفينتان ووصل الى ساحل عدن . فلما انتهوا الى
 ساحل عدن . قال بعضهم لبعض . علام نغمر بأنفسنا مع ابن الفاعلة ؟
 فحملوا أنفسهم على الجسور وهي مجازة ثابتة في البحر . فانكسرت من السفن
 واحدة وسالت خمس إلى عدن فتسامعت به العرب . فاجتمعت إليه واجتمعت
 الحبشة الى ملكهم مسروق أبرهة فزحف بهم اليه . فتأهب سيف للقتال وقال
 الأسوار وهو وهرز الرأي عندي أن تكون رجلي مع رجلك أن نقاتل أو نهلك
 صبرا فان السفائن قد انكسرت ، ونحن لا نتوقع من المدد إمدادا . فعمد إلى عصابة
 حمراء فشد بها حاجبيه ، وتكب قوسه ، وعبر أصحابه . وقال لوهرز : كن
 أنت وأصحابك حجرة ودعنا والقوم . قال ثم إن سيفنا خالطهم فاقتلوا مليا
 ثم قال وهرز وكان ضعيف البصر : على أي الدواب يقاتل ملككم قالوا على
 الفيل . فقال لهم ساعة ثم سأل عنه فقالوا : قد تحول إلى الفرس فقال لهم ساعة
 ثم سأل عنه ، فقالوا قد تحول إلى البغل ، فقال : البغل ولد الحمار ، والحمار
 ذليل ، ذل وذل ملكه ورب الكعبة . ثم أستموا له سمته . فلما استقر بصره
 عليه ، وقد ربط حاجبيه بحريرة أخذ قوسه ، وكان لا يوترها غيره ثم نزع
 فيها وكان على مسروق تاج ، وبين عينيه ياقوتة حمراء فرماه ففلق الياقوتة
 وتغلغل السهم في رأسه فخر لوجهه ، وانهمزت الحبشة فجعل الرجل منهم
 يأخذ البغلة أو العود فيضعه في فيه يستأمن به ، ويدخل منهم النفر الحائط أو
 الدار فتقتلهم النساء والصبيان حتى أتى على آخرهم وكان كسرى عهدا الى وهرز
 فقال له إذا سرت الى اليمن فظفرت بالقوم فاجمع أهلها وسلمهم عن سيف فان
 كان من ملوكها كما زعم فتوجه بهذا التاج وقد كان أعطاه تاجا وقفازين وملكه
 على قومه واجب أنت المال وإن كان كاذبا فاقتله واكتب إلى لاكتب اليك
 برأي ، فلما تمكن من البلاد جمع أبناء الملوك فقال كيف سيف فقالوا ملكنا

خَرْعَ الْأَحْبُوشِ سُمًّا نَاقِعًا وَاحْتَلَّ مِنْ غَمْدَانِ مُحْرَابِ الدُّمَى^(١)
 ثُمَّ ابْنُ هِنْدٍ بَاشَرَتْ نِيرَانَهُ يَوْمَ أَوَارَاتِ تَمِيمًا بِالصَّلَا^(٢)

وابن أملا كنا أدرك بشارنا فتوجه وملاكه وكتب إلى كسرى بذلك فأقره باليمن
 ومنهم الذين يعرفون بالأبناء بصنعاء إلى عهد قريب .

(١) جرع : سقى ، والجرعة القليل من الماء ، ومنه قول الله عز وجل (يتجرعه
 ولا يكاد يسيغه) أى لا يقطع شربه ، والأحبوش ملك الحبشة ويقال للجماعة
 أيضا أحبوش وحبشة وقد تحبشوا إذا اجتمعوا . وناقعا : بالغا أقصى فعله في
 الجسم من الأذى والموت وثابتا يقال نقع نقوعا إذا ثبت ، واحتل : نزل
 بالمكان واتخذه محلا له ، ومنه سمي المكان الذى ينزل فيه محلا . وغمدان :
 موضع بصنعاء اليمن ، وكان فيه قصر عظيم به صور من الرخام هدمه عثمان بن
 عفان رضى الله عنه فى الاسلام ويقال إن رسومه باقية إلى الآن . والمحراب
 ههنا . غرفة بصنعاء فيها صور قديمة حسنة ، أنشد الأصمعى للعرب

ربت محراب إذا جثتها لم أدن حتى أرتقى سبلها
 وقيل المحراب . المجلس فى البيت وهو أكرم موضع فيه ، ومن هذا سمي
 محراب المسجد لأنه أرفع موضع فيه ، والدمى : الصور ، واحدها دمية
 قال الشاعر

أر دمية من مرمر غواصها بهج متى يرها يهل ويسجد
 ويقال للنساء أيضا دمي تشبيها لهن بالدمى ، وصنعاء باليمن كثيرة الأشجار
 والمياه مرتفعة على ربوة تشبه دمشق وهى من البلدان التى لا يدرى من بناها
 وتدمر بالشام والنسب إليها صنعاني .

(٢) باشرت : أى خالطت ، ويوم أوارات . يوم معروف من أيام العرب
 وأوارات . اسم موضع . وتيميا : يعنى قبيلة والنسبة اليها تيمى . والصلا :
 وهج النار وهو مقصور إذا فتحت وإذا كسرت الصلا مددته فقلت الصلاء .
 وابن هند : هو عمرو عم النعمان بن المنذر وهو الذى يلقب بمضطرط الحجارة .

مَا أَعْتَنَ لِي يَأْسٌ يُنَاجِي هَمَّتِي إِلَّا تَحْدَاهُ رَجَاءٌ فَاسْتَمْسِكْ

وهو الذي قتل طرفة بن العبد وابنه عمرو وإنما لقب بطرفة لقوله
لا تعجلا بالبكاء مطرفا ولا أميريكما بالدار إذ وقفنا
وكان من حديث عمرو بن هند المذكور هنا أنه كان شديد البأس وكان عم
النعمان بن المنذر كان له أخ مس-ترضع في بني تميم خرج يوما يتصيد فرأى بل
لرجل من بني تميم فرأى فيها ناقة حسنة فرماها ففقرها فجاء صاحبها فلما رآها
مفقورة وثب عليه فقتله فنذر عمرو بن هند أن يقتل من بني تميم مائة بدلا
منه فغزاهم يوم أدارات فسي ما أصاب في بلادهم وأقبل يقتلهم على الثنية ،
وآلى ليقتلهم حتى يبلغ الدم إلى الأرض وليحرقنهم فقبل له أيها الملك لترفعن
السيف أو قد أفنيتهم فقال والله لأترككنهم أو يأتوني بمائة رجل من خيارهم
فطلبوا فلم يوجد منهم إلا تسعة وتسعون رجلا . فلما جرى بهم أمر بحفر زبية
فاحتفرت لذلك ، ثم قال اضرموا نارا وألقوا فيها الحطب فأججت ، وعظيمة
فقال ألقوا فيها رجلا رجلا وبقي واحد من نذره فبينما هم كذلك إذ هم برجل
راكب قد طلع عليهم وكان من البراجم فأبصر الدخان ووجد قتار لحومهم -
أى رائحتها - على بعد فظن أنه طعام يصنع للناس فأقبل نحوهم فلما بلغ ورأى
ما رأى جزع فقال عمرو انظروا بمن الرجل فأخذ فأتى به إليه فقال من أنت
فقال رجل من البراجم فقال عمرو :

إن الشقي وافد البراجم

وهو من أمثالهم ، ثم قال ألقوه في النار ليتم نذري فألقى فيها فتم نذره .
والبراجمة من بني تميم .

(١) اعتن : اعترض . وتحداه : اعتمده وقصده . واسترو تغطي .
ومن ذلك سعى الشجاع كى لا يستناره بسلاحه ، وقيل بل سعى كى لأنه يكى
شجاعته أى يسترها فلا يظهرها إلا عند الحاجة إليها يقول إننى لم يعرض لى
يأس الا رجوت زواله .

٧ أَلِيَّةٌ بِالْيَعْمَلَاتِ يَرْتَمِي بِهَا النَّجَاءُ بَيْنَ أَجْوَاكِ الْفَلَاحِ
٨ خَوْصٍ كَأَشْبَاحِ الْحَنَائِيَا ضَمْرٌ
يَرْعَفْنَ بِالْأَمْشَاجِ مِنْ جَذَبِ الْبُرَا^٢

(١) أَلِيَّةٌ بِالْيَعْمَلَاتِ : أى قسماً باليعملات نصب على المصدر كأنه قال أولى ألية باليعملات أو آليت ألية باليعملات ، واليعملات جمع يعمله وهى النافعة الصلبة الشديدة ويقال للذكر يعمل . والنجاء : السرعة . والأجواز جمع جوز وجوز كل شئ وسطه ، والفلا جمع فلاة وهى الصحراء وتكتب بالالف لأنك تقول فى الجمع فلوات . يقسم بالنوق الكريمة التى تجود الغلاة وتقطعها بسرعة
(٢) الخوص : الابل الغائرة العيون من الهزال أو الضيقة العيون لأن الخوص ضيق العيون ، والفعل منه خوص يخوص خوصاً والذكر أخوص ، والاثنى خوصاه . والأشباح الشخوص جمع شاخص واحد شايخ . والحنايا : القسي واحد حنية . شبه الابل بها الضمرها . وضمير جمع ضامر وهو المهزول ، اللاحق البطن ضموراً وهزالاً قال حميد الارقط

لاحق بطن بقرى سمين

أى ضامر . ويرعفن . يسطن ، وهو مأخوذ من الرعاف وهو سيلان الدم من الأنف . والأمشاج : الأخلاط واحد مشج وهو ما يسيل من أنوف هذه النوق التى نعتها بالخوص المختلط المتغير بالدم ، وقوله من جذب أى من سوق وفيه لغتان جذب وجبذ على التقديم والتأخير ويقال جبذ وجذب إذا ساق وفلان شديد الجذب والجبذ أى السوق . والبرا جمع برة وهى الحلقة تكون فى أنف البعير أو فى لحمة أنفه من صفر أو حديد أو فضة فإن كانت من شعر أو صوف فهى خزامة ، وإن كانت من عود فهى خشاش فإن كانت من بقية جبل فهى عران وبروت البعير جعلت فى أنفه برة

٢٩ يَرْسُبْنَ فِي بَحْرِ الدُّجَا بِالضُّحَى يَطْفُونَ فِي الْآلِ إِذَا الْآلُ طَفَا^(١)
 ٥ أَخْفَا فُهْنٌ مِنْ حَفَا وَمِنْ وَجَى مَرثُومَةٌ تَخْضِبُ مُبْيَضَ الْحَصَا^(٢)

يقول إن هذه النوق منحنية الظهور كأنها القوس ضمورا وانحناء مع غور هينها تسيل أنوفها دما من شدة جذب البرى التي بالأنف وإنما يكون ذلك من شدة السير والطارد.

(١) يرسبن : يغبن والرسوب الغوص فى الماء والمغيب فيه الى أن يباخ قعره . وبحر الدجى : شبه الليل بالبحر والنوق بالسفائن ترسب فى قاعه وفى النهار تطفو فوقه . والدجى : الظلمة وهو جمع واحده دجية يقول هذه النوق تغيب فى ظلمة الليل وتظهر فى خلال النهار . والضحى : بضم الضاد مقصور هو طلوع الشمس واشراقها . وأما الضحاء بفتح الضاد والمد فهو فوق ذلك وهو القائلة . ويطفون أى يعلون والطافى فوق الماء المرتفع كما قال الشاعر :
 فاسبق القيسى من سوء سيرة ولكن طفت علما غرلة خالد

يريد على الماء ، والآل ما رفعته الشمس غدوة . والسراب إنما يكون فى انتصاف النهار كأنه ماء وليس بماء قال الله عز وجل (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) وطفا ارتفع يقال طفا يطفو فهو طاف

(٢) الاخفاف للابل بمنزلة الحوافر للخيل الواحد خف . والحفا مقصور رقة أخفاف الابل وحافر الدابة من كثرة المشى . والوجا بالجم وفتح الواو مقصور وجع فى الرجل يصيب الرجل من الحفا ، يقال من ذلك وجى الرجل يوجى وجى فهو وج . ومرثومة مشقوقة من الحجارة وقيل مكسورة وتخضب تصبغ . والحصا : جمع حصاة مثل قطا وقطاة يقول إن أخفافهن مشقوقة من الحفا والوجا الذى اعتراها من كثرة المشى وارتطامها بحصى البيداء يسيل منها دم غزير يدع الحصى الابيض أحمر قانيسا كأنه مخضوب بالحناء .

يَحْمِلُنْ كُلَّ شَا حِبٍّ مُحَقَّقَوْ قَفَّ من طولِ تَدَّآبِ الْغَدُوِّ وَالسَّرَى^(١)
 بَرٍّ بَرَى طُولُ الطَّوَى جُثْمَانَهُ فهو كَقِدْحِ النَّبْعِ مَحْنَى الْقَرَا^(٢)
 يَنْوَى الَّتِي فَضَّلَهَا رَبُّ الْعَلَا لَمَّا دَحَا رُبَّتَهَا عَلَى الْبَنَى^(٣)

(١) الشاحب : المتغير اللون من السفر أو التعب أو شظف العيش . والمحقوقف المعوج الذي انحنى ظهره ، يقال احقوقف يحقوقف احقيقافا إذا انحنى ، والتدآب : المداومة والعادة يقال دأب يدأب دأبا ودؤبا وتدآبا . والغدو : سير النهار ، والسرى : سير الليل . بعد أن وصف النوق وصف ركبائها وهم حاجو البيت بالضمور والانحناء من شظف العيش وحر المهاجرة وطول السفر

(٢) بر : مطيع يقال رجل بر أى مطيع لله عز وجل ، والجمع أبرار وهو نعت للشاحب فلذلك خفض . وبرى : أهزل وأذهب لحمه ، ومنه برى للقلم أى إضعافه وترقيقه ، وتحديد طرفه . والطوى : الخوص . وهو الجوع ، طوى يطوى طوى .

قال : ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أقال به كريم المأكل وجثمانه : جسمه . والقدح : عود صلب تعمل منه السهام . والنبع : شجر تعمل منه القسي واحده نبعة . والمنحنى : المعوج . والقرا . الظهر . يصفه بالتقى وطاعة الله لأنه يقصد بيته الحرام ، وبالهزال وانحناء الظهر والضعف لمواساته الصيام بدون سحور ، ويشبهه بقدح النبع لقوته وضموره وشدة احتماله وصبره .

(٣) ينوى : يقصد مأخوذ من النية والنية القصد . والتي فضلها رب العلا : يعنى بها مكة . ودحا : بسط ، والبنى . جمع بنية وهى الشيء المبني . يقول إنه يقصد مكة التى شرفها الله على كل بلد منذ أول الخلق وإنما يقصد نفس البيت الحرام لا مكة .

حَتَّى إِذَا قَابِلَهَا أُسْتَمْبِرَ لَا يَمْلِكُ دَمْعَ الْعَيْنِ مِنْ حَيْثُ جَرَى (١)
 ثُمَّتَ طَافَ وَانْتَنَى مُسْتَلَمًا ثُمَّتَ جَاءَ الْمَرْوَتَيْنِ فَسَمَى (٢)
 وَأَوْجِبَ الْحَجَّ وَتَنَّى عُمْرَةً مِنْ بَعْدِ مَا عَجَّ وَلَبَّى وَدَعَا (٣)

(١) استمبر : بكى . وهو مأخوذ من العبرة وهى الدمعة . والهاء من قابلها راجعة إلى المكعبة وهى بيت الله . يقول إنه حين رأى مكة واستقبل البيت الحرام فاضت عبرته وجرت بالدموع عيونه . من خشية الله لا يملك التوقف عن البكاء ولا يكف دمعته الجارى . وهذا البيت والذى يليه من حقه أن يذكر عقب قوله وأوجب الحج ليوافق فى ترتيبه أفعال الحج

(٢) ثمت : بمعنى ثم إلا أنهم يزيدون التاء كما يزيدونها بمعنى التأنيث فى قولهم قامت وكذلك يفعلون فى رب فيقولون رببت ، وطاف : يعنى الطواف سبعا بالبيت وانتنى : انعطف ورجع بعد الطواف الى الاستلام . ومستلما : أى ماسا الحجر الأسود بيديه أو بفمه أو بعود وهو مأخوذ من السلة وهو الحجر ووزنه مفتعل وجمع السلة سلام . والمروتان : الصفا والمروة . وهما موضعان من مناسك الحج . والمناسك : المواضع التى يتقرب فيها إلى الله بصالح العمل . وأصل الصفا الحجارة الصلبة والمروة الحجارة المتينة وواحدة الصفا صفاة وواحدة المرو مروة . وغلب المروة على الصفا فقال المروتين لأنها أشهر من الصفا سماهما باسم واحد كما تقول العرب القمران يعنون الشمس والقمر . وقوله فسعى أى مشى والسعى المشى وسعى أيضا بمعنى عمل قال الله عز وجل ذكره (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن) أى شرع فى أداء أركان الحج فطاف بالبيت واستلم الحجر الأسود ثم سعى بين الصفا والمروة .

(٣) أوجب الحج أى ألزمه نفسه . والحج القصد وفى تسميته حجاً ثلاثة أقوال ، وقيل هو من حججت فلانا إذا قصده فسمى حج البيت حجاً لقصد الناس إليه ، وقيل الحج الزيارة فسمى الحج حجاً لعودتهم إلى البيت فى كل عام مرة بعد مرة قال الشاعر :

٥٦ ثُمَّتَ رَاحَ فِي الْمَلْبَسَيْنِ إِلَى حَيْثُ تُحَجَّي الْمَازِمَانِ وَمَنْ^١
 ٥٨ ثُمَّ أَتَى التَّعْرِيفَ يَقْرُؤُ وَنَحْبَتَا مَوَاقِفًا بَيْنَ لَالٍ فَالْتَقَا^٢

واشهد من عرف حلولا كثيرة يحجون بيت الزرقان المزعفرا
 والثالث: أنه بمعنى الإقامة لأن الحجاج يقيمون في مكة أياما تصل إلى عشرة
 وقوله وثى عمرة: أى ألزم نفسه مع الحج عمرة فجاءت بعد الحج ثانية والعمرة
 في كلام العرب الزيارة قال الشاعر

يهل بالفرقد ركبائها كما يهل الراكب المعتمر

وقوله من بعد ما عجز: أى رفع صوته بالدعاء . والتلبية قولهم: لبيك اللهم
 لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، وأصله
 عند الخليل وسيبويه من ألبت بالمكان إذا أقمت به، وألبت أيضا لغة قال الخليل
 وسيبويه ثم قلبوا الباء الثانية ياء امتثالا كما قالوا تظنيت من الظن والأصل
 تظننت وكذلك قالوا لبيت والأصل لببت فكان معنى قولهم لبيك أنا مقيم على
 طاعتك قد أجبتك الى ما دعوت ثم ثنوه للتوكيد فقالوا لبيك أى أقمتا على
 طاعتك إقامة بعد إقامة لأنه كان قبل أن يثنى لب جاءوا بالياء للتثنية ولم يستعمل
 مفردا ، وروى عن الخليل قول آخر وهو أنه مأخوذ من قولهم: أم لبة أى
 عاطفة على ولدها فيكون معنى لبيك على هذا القول إقبالا عليك يارب
 بعد إقبال وانعطافا الى المكان الذى دعوت اليه فأجبنا فسرعين ويممنا مهطعين
 والملمون جمع ملب ، والملمى هو المجيب بالتلبية .

(١) راح أى خرج بالروح وهو الخروج بالعشى والغدو أرل النهار ، قال
 الله عز وجل (غدوها شهر ورواحها شهر) والمأزمان جبلان بين المزدلفة ومنى .
 ومنى: محل رمى الجمار بمكة . وتحجى: أقام . يقال: تحجى بالمكان . وحجى:
 إذا أقام فيه ولبت .

(٢) التعريف وعرفات واحد وهو اسم موضع من مناسك الحج . ويقرو ويتبع
 المواضع ويدخل من موضع الى موضع . والنحبت المتواضع الخالص لله تعالى

وَاسْتَأْنَفَ السَّبْعَ وَسَبْعًا بَعْدَهَا وَالسَّعَى مَا بَيْنَ الْعِقَابِ وَالصَّوَى^(١)
وَرَاخَ لِلتَّوْدِيْعِ فِيمَنْ رَاخَ قَدْ أَحْرَزَ أَجْرًا وَقَلَى هَجْرَ اللَّسَا^(٢)

قال الله عز وجل (وبشر المحبتين) . والمواقف : المواضع التي يقف فيها الحاج بعرفة والمزدلفة للدعاء والصلاة . وألال كسحاب وكتاب جبل بعرفات او جبل عن يمين الامام بعرفة يقوم فيه الامام بالناس يوم عرفة . والنقاء : القطعة من الرمل تنقاد محدودبة ، وهو مقصور يكتب بالالف على قول من قال في ثنيتيه نقوان ، ويكتب بالياء على قول من قال نقيان وأما النقاء بمدودا فمصدر الشيء النقي

(١) واستأنف : ابتداء . والسبع : يعني رمى الجمار السبع . وسبعها بعدها : أراد السبع الثانية التي تلى الأولى . والسعى المشى . والعقاب جمع عقبة . والصوى : الكدى وهي جمع صوة وقيل الصوى الحجارة التي تنصب على الطريق ليهتدى بها (٢) راح للتوديع : أى لتوديع البيت الحرام ، وكذلك يفعل الحاج بعد الفراغ من رمى الجمار والذبح والخلق يذهب الى البيت . ودعا فيطوف به سبعة ويسعى بين الصفا والمروة سبعة ويرجع إلى منى فيقيم بها ثلاثة أيام ومنهم من يتعجل في يومين ثم يتفرقون كما قال الشاعر

فلله عينا من رأى من تفرق أشت وأناى من فراق المحصب
فريقان منهم جازع بطن نخلة وآخر منهم قاطع نجد كعبك

وأحرز أجرا ملكه وأصابه . وقلى : أبغض ، ومنه قوله جل وعلا (وما ودعك ربك وما قلى) وتصريفه قلى يقلى قلا . والهجر بضم الهاء القبيح من الكلام ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (انى كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزورها ولا تقولوا هجرا ، يقال منه هجر الرجل هجرا اذا تكلم بكلام قبيح والاسم منه الهجر ، واما الهجر بفتح الهاء فهو الهذيان من القول كما يفعل المهتر المربض صاحب الموم والبرسام ، والهجر أيضا بفتح الهاء القطع والصريمة

بِذَاكَ أُمُّ بِالْخَيْلِ تَعْدُو وَالْمَرَّطَى
 ناشِزَةً أَكْتَادَهَا قُبَّ السُّكْلَى^(١)
 شَعَثًا تَعَادَى كَسْرَاحِينَ الْغَضَا
 مِيلَ الْحَمَالِيقِ يُبَارِينَ الشَّبَا^(٢)

تقول هجرت فلانا إذا قطعتة أجهره هجرا فيهما جميعا . واللغا : الباطل من الكلام وفيه لغتان لغو ولغا ، قال الله عز وجل (والذين هم عن اللغو معرضون) وإحراز الأجر مسبب عن هجر اللغى فهو مقدم في المعنى وإن تأخر في الذكر (١) بِذَاكَ أُمُّ بِالْخَيْلِ هذه الباء متعلقة بقسم محذوف تقديره أقسم بِذَاكَ أُمُّ بِالْخَيْلِ . وتعدو : بالعين المهملة أى تجرى ، يقال عدا يعدو عدواً إذا جرى ، والمرطى ضرب من العدو وهو السهل منه . وناشِزَةً : بالزاي المعجمة أى مرتفعة ومنه قولهم قعدت على نشز من الأرض أى موضع من الأرض مرتفع ، ومنه قوله جل ذكره (وإذا قيل لكم انشزوا فانشزوا) أى ارتفعوا . واكتادها جمع كتد وهو العظم الذى يكون فى رأس الكنف ، وقيل الكتد ما بين الكاهل ووسط الظهر . وقب السُّكْلَى أى ضامرة السُّكْلَى . وقب جمع أقب أقسم فيما مضى بالابل تحمل البررة من الحاج أمين البيت العتيق بمكة محرمين بالحج ملبيين لله معرفين مخبتين مشاهدين المواقف السكريمة طائفين بالبيت سبعة ساعين بين الصفا والمروة مودعين صائمين عن اللغو وهجر القول نالوا الأجر من الله . بِذَاكَ . أقسم بالحاج نفسه وأم بالخيل قسم آخر يقول أقسم بالابل ومن أقلته ظهورها من الحاج أقسم بالخيل العادية المرتفعة ظهورها ضمورا أو هزلا .

(٢) الشعث : تفرق شعر الرأس وتناثره والشعث : الخيل النائرة الأعراف أى المرتفعة شعر الأعراف ، والأعراف جمع عرف وهو شعر عنق الفرس ، وتعادى تتسابق أراد تتعادى ، وسراحين جمع سرحان وهو الذئب ، والغضا جمع غضاة وهو شجر بالبادية دائم النبت قال الشاعر :

فسقى الغضا والساكنيه وإن همر شبيه بين جوانحي وضلوعى
 وهو شجر يدوم جمره ، وميل جمع مائلة ، والحماليق جمع حمالق أو حملوق باطن أجفان العين أو اللعين ، يبارين يعارضن ، والشبا مقصور جمع

يَحْمِلُنَ كُلَّ شَمْرِيَّ بِاسِلٍ شَهْمُ الْجَنَانِ خَائِضٌ نَغْمَرُ الْوَعْيُ^(١)
يَغْشَى صَلاَاَ الْحَرْبِ بِحَدَّيْهِ إِذَا كَانَ لَظَى الْحَرْبِ كَرِيهَ الْمُصْطَلَى^(٢)
لَوْ مُثِّلَ الْحَتَفُ لَهُ قِرْنًا لَمَّا صَدَّتْهُ عَنْهُ هَيْبَةٌ وَلَا انْتَهَى^(٣)

شِيبَةُ وَشِبَابَةُ كُلِّ شَيْءٍ. حُدَّهُ وَالْمَرَادُ بِهَا هُنَا أَطْرَافُ الرِّمَاحِ
يَقُولُ إِنَّ هَذِهِ الْأَفْرَاسَ نَشِيطَةٌ شَعَثَةٌ مِنْ كَثْرَةِ الْعَدُوِّ وَالْحَرَكَةِ وَهِيَ حِينَ
تَعْدُو عَدُوَّ الذُّنَابِ تَرْنُو بِعِيُونِهَا الْأَطْرَافَ الْأَسْنَةَ وَتَمِيلُ مَعَهَا فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ
(١) يَحْمِلُنَ: يَرِيدُ الْخَيْلَ، وَالشَّمْرِيَّ الْمَاضِي فِي الْأُمُورِ وَهُوَ مَا خُوِذَ مِنَ التَّشْمِيرِ
يَرِيدُ كُلَّ مَشْمَرٍ لِمُلَاقَاةِ أَقْرَانِهِ مُشْتَدِّ لَذَلِكَ، وَالْبَاسِلُ الشَّجَاعُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْبَسَلِ
وَهُوَ الْحَرَامُ قَالَ الشَّاعِرُ

بَكَرْتَ تَلُومَكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَى بَسَلٌ عَلَيْكَ مَلَامَتِي وَعَتَابِي
أَيُّ حَرَامٍ فَكَأَنَّ الْبَاسِلَ حَرَّمَ عَلَى أَقْرَانِهِ الدَّنُوَّ مِنْهُ لِشَجَاعَتِهِ وَشِدَّتِهِ وَقِيلَ
الْبَاسِلُ الْمُرَاكِبِيُّ، وَقَدْ بَسَلَ الرَّجُلُ يَبْسُلُ بَسَالَةً إِذَا صَارَ مُرًّا، وَشَهْمُ الْجَنَانِ:
حَادُّ الْقَلْبِ. وَالْجَنَانُ: الْقَلْبُ. وَخَائِضٌ: أَيُّ دَاخِلٍ وَوَالَجٍ. وَالغَمْرُ: الْمَاءُ:
السَّكْبِيرُ الَّذِي يَغْشَى مَنْ دَخَلَهُ وَيَغْمُرُهُ وَالْوَعْيُ جَمْلَةُ النَّاسِ وَصِيَاحُهُمْ فِي الْحَرْبِ
إِلَّا أَنَّهُمْ سَمَوْا الْحَرْبَ وَغَى بِاسْمِ الصِّيَاحِ الَّذِي يَكُونُ فِيهَا. يَصِفُ الرِّجَالَ فَوْقَ
الْخَيْلِ بِالْبَسَالَةِ وَالْقُوَّةِ وَالتَّجَرُّبَةِ فِي الْحُرُوبِ وَأَنَّهُمْ أَلْفَوْهَا

(٢) يَغْشَى: يَدْخُلُ وَيَطَأُ. وَالصَّلَا مُفْتَوِّحٌ مَقْصُورٌ حَرُّ النَّارِ فَذَا كَسَرَ أَوَّلَهُ
مَدَّ فَقِيلَ صَلَا. وَلِظَاهَا أَيْضًا حَرُّهَا. وَحَدُّ السَّيْفِ: جَانِبَاهُ، وَلِظَى الْحَرْبِ شِدَّةُ
نَارِهَا. وَكَرِيهَ الْمُصْطَلَى أَيُّ مَبْغُضِ الْإِسْتِدْفَاءِ بِهِ يَقُولُ إِنَّهُ مَخَافَرٌ يَقْذِفُ بِنَفْسِهِ
كُلَّهَا فِي الْحَرْبِ لِشَجَاعَتِهِ وَقُوَّتِهِ وَإِيمَانِهِ بِالْغَلْبَةِ وَالْقَهْرِ

(٣) لَوْ مُثِّلَ الْحَتَفُ: أَيُّ صُورٍ. وَالْحَتَفُ: الْهَلَاكُ. وَالْقِرْنُ: الَّذِي يَقَارَنُكَ فِي
بَطْشٍ أَوْ قِتَالٍ أَوْ عِلْمٍ. وَصَدَّتْهُ: مَنَعَتْهُ وَمَنْعَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ) وَهَيْبَةٌ: أَيُّ مَخَافَةٍ، وَالْهَيْبَةُ: أَنَّ يَعْظُمَ الْإِنْسَانُ فِي عَيْنِكَ وَتَهَابَهُ

وَلَوْ حَمَى الْمِقْدَارُ عَنْهُ مُهْجَةً لَوَامِهَا أَوْ يَسْتَبِيحُ مَا حَمَى^(١)
تَعْدُو الْمَنَابِيَا طَائِعَاتٍ أَمْرَهُ تَرْضَى الَّذِي يَرْضَى وَتَأْتِي مَا أُنِي^(٢)
بَلْ قَسَمًا بِالشَّمِّ مِنْ يَعْرُبَ هَلْ الْمُقْسِمِ مِنْ بَعْدِ هَذَا مُنْتَهَى^(٣)

حتى تخافه . واثنتى : رجع ، والاثناء الرجوع عن الشيء . والانصراف عنه
(١) حمى يحمى حماية يمنع ، والمقدار هو القدر يعنى قدر الله عز وجل ، والمهجة :
النفوس وجمعها مهج ، ورامها : طلبها وأدركها ويستبيح يدرك ذلك الشيء
نافذاً أمره فيه ونصب يستبيح بأن لأن أو هنا بمعنى حتى ، وأو إذا كانت
بمعنى حتى أو بمعنى إلا أن كان الفعل بعدها منصوباً . فأما كونها بمعنى حتى
فمثل هذا الذى ذكرنا ، وأما كونها بمعنى إلا أن فمثل قولك لأضربنك
أو تقرأ أى إلا أن تقرأ ومنه قول امرئ القيس

فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ما لك أو نموت فنعدرا

وإن وقعت أو فى موضع لا يصلح فيه إلا أن أو حتى كان الرفع لا غير
كقولك أتجلس أو تقوم أنزورنا أو تقطعنا . يقول : انه يغالب القدر فيغلبه
فلو أن نفساً لم يأت أجلها من النفوس التى تعاديه حماها القدر لرام فرسها
وأدرك ذلك حتى يستبيح بسيفه ما حماه القدر وإما هذا مبالغة وإغراق فيها

(٢) تعدو : تأتى بالغدوة مبكرة اليه ، ويروى تعدو بالعين المهملة .
ومعناه تسرع الى طاعته وتبادر الى ارادته ، وتأتى تسكره ولا تريد وتصريفه
أنى يأتى إباء وإلابة فهو آب يرتب عليه أن المنايا أصبحت طوع مشيئته منقادة
لأمره خاضعة لحكمه وتصرفه تقرر الذى يراه . لانهصى له قولاً فقد تلاشت فيه
وأصبح هو المنايا وهذا إغراق أيضاً وتهويل

(٣) بل : حرف عطف وهو للاضراب عن الاول للثانى . وقسماً : أى
يعيناً ، والشَّم : الطوال . وقيل أشراف الناس ، ويعرب قبيلة من العرب
تنسب إلى يعرب بن يشجب بن قحطان ، والمقسم : الخالف ومنتهى أى غاية .

هُمْ الْأُولَىٰ إِنْ نَفَرُوا قُلَّ الْعَلَا بِنِي أَمْرِي ۖ فَآخَرَهُمْ عَفَرُ الْبَرَىٰ^(١)

هُمْ الْأُولَىٰ أُجِرُوا يَنَابِيعَ النَّدَى

هَامِيَةً لِمَنْ عَرَىٰ أَوْ أَعْتَفَى^(٢)

هُمْ الَّذِينَ دَوَّخُوا مَنْ انْتَخَى وَقَوَّ مَوَا مِنْ صَمَرٍ وَمِنْ صَفَا^(٣)

يقسم بأشرف بني يعرب ، ويقول مستفهما مستسكرا إن هذا نهاية الخلف فلا قسم عنده بعدهم لبلوغهم نهاية العز والشرف
(١) هم الأولى : بمعنى هؤلاء ، والعلا : الفخر والرفعة ، ومعالي الأمور : مكارم الأخلاق ، وبني امرئ : أي بقمه ، وعفر الأرض : وجهها ، والبرى : مقصورا : التراب ، يقال ما على عفر الأرض مثله أي وجهها . يقول إن لهم الذروة في المفاخر لا يسامهم فيها أحد حتى أن العلا لتقول لمن تجرأ على مفاخرتهم بفيك التراب

(٢) الينابيع : العيون التي تجري بالماء في الأرض ، قال الله جل ذكره : (فسلكه ينابيع في الأرض) واحدها ينبوع ، قال الله جل ذكره (حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) والندى : الجود وهو الكرم ، والهامية : السائلة يقال همى المطر إذا سال ، وعرا : قصد وتعرض للطلب يقال عراني واعتراني إذا تعرض لسؤالي . والمعتز : المعترض ومنه قول الله جل ذكره (وأطعموا القانع والمعتز) القانع : هو السائل والمعتز : المعترض ، واعتفى : طلب من غير تعرض ، والمعتفى : الطالب للقرى والرفد وجمعه معتفون ويقال فيه أيضا عاف وعفاه . يقول إن ينابيع ندامهم تفيض وتهى على الناس جميعا من قصدهم ومن لم يقصدهم

(٣) دوا : أذلوا يقال دواخت فلانا إذا أذلته ، ودواخ هو نفسه إذا ذل . وانتخى : افتعل من النخوة وهي التفاخر والتعاضم ، والتقريم : التأديب بإلزامه طريق الاعتدال ، والصعر : التكبر وأصل الصعر الميل وهو أن يميل

هُمْ الَّذِينَ جَرَّعُوا مِنْ مَاحِلُوا أَفَوقَ الضَّيْمِ مُمَرَّاتِ الْحَسَا
أَزَالِ حَشْوٍ نَثْرَةٍ مَوْضُونَةٍ حَتَّى أَوَارَى بَيْنَ أَثْنَاءِ الْجُثَى

الانسان خده من التكبر قال الله تعالى (ولا تصغر خدك للناس) أى لا تتكبر
وقرىء ولا تصغر تقول رجل أصغر وامرأة صغراء ، والصفا : الميل قال الله
تعالى (ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى ولتميل
يقول : إنهم شجعان بوسائل أدبوا كل متعظم شديد الفخر حتى ذل وانقاد
لأمرهم ولزموا الجادة والطريق المستقيم وإنما ذلك لقوة بأسهم وشدهم في الحرب
(١) وجرعوا : الجرعة حسوة الماء وجرع الماء ابتلعه وجرعه سقاه إياه
مقطعا على مهل طوعا أو كرها وجرعه الماء والشراب فتجرعه أى شربه قال
الله تعالى (يتجرعه ولا يكاد يسيغه) واجترعه جرعه بمرارة ، وماحلوا :
غالبوا ماحله ماحلة ومحالا قاوا حتى يتبين أيهما أشد ، والمحالة : البكرة العظيمة
تعلق على فوهة البئر . والأفوق : جمع فيقة اسم لما يجتمع في الضرع بين
الحلبتين والضيم : الظلم والانتقاص ، وممرات جمع مرة - أى مريرة مرة ،
والحسا : اسم لما يحتسى من مرق أو غيره أى يشرب شيئا بعد شيء أو تناول
الطائر الماء إذ لا يقال شرب الطائر وإنما يقال حسا . يقول إنهم الذين أذاقوا
أعداءهم العذاب الشديد ألوانا وسقوهم الضيم حسوة بعد حسوة ، والمرار جرعة
بعد جرعة ليكون أبلغ في العذاب وأشد في الإيلام

(٢) أزال : هو جواب القسم في قوله بل قسما بالشم وأراد لا أزال والعرب
تقول والله أفعل كذا بمعنى لا أفعل مستعمل إسقاطها في الجواب قال الله عز
وجل (قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف) أى لا تفتؤ ، وقال امرؤ القيس :
فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالى
أراد لا أبرح ، وحشو نثرة موضونة : أى لا بس نثرة لأن الحشو ما حشى به
أى أدخل في جوفه فكأنه صار حشوا إذا لبسها . والنثرة الدرع الواسعة -
وكذلك النثلة . الموضونة : الدرع المنسوجة أو المقاربة المنسوجة

وصاحبي صارم في ممتنه مثل مدب النمل يعلو في الرئي^١
أبيض كالملح إذا انتضيتة لم يلق شيئا حده إلا فرى^٢
كان بين غيرهِ وغربه مُفتأداً تأكلت فيه الجدى^٣

حلقين حلقين أو بالجواهر المحكمة النسج ، قال الله عز وجل (على سرر
موضونة) وأواري : أعطى ، والأثناء والمثاني : القوة والطاقت جمع ثي وهو
ما نثي منها أو تعوج وتراكب وانعطف على بعض . والجثي : جمع جثوة وهي
الحجارة المجموعة . بقول : قسما بالشم الخ لا أزال لابسا درعي المحكمة النسج
حتى أموت وأواري في قبري بين الصخور

(١) أصحابه : سيفه و فرسه الذي سيذكره في البيت الخامس بعد .
والصارم : السيف القاطع وجمعه صوارم ، وفي ممتنه : أي في ظهره
يعني متن السيف يريد بذلك وسطه . والمدب الطريق ومدب النمل طريق سيره
هو من دب يدب مدبة ودبا وديبيا إذا مشى يريد فرند السيف وهو جوهره
الذي تراه كآثر النمل أو النقوش التي تكون كالحلمية عليه وإنما تحلى السيوف
القاطعة المجربة لا يريد الندوب التي تظهر على الحديد من أثر الطرق عند صنعه
فذلك عيب في الصناعة أو المصنوع و يعلو : يرتفع . والرئي جمع ربوة ما ارتفع
من الأرض يصف النمل وطريقه بعد أن أقسم أنه لا يزال لابسا الدرع
السابعة قال إن صاحبي سيف صارم عظيم محلى ممتنه ومنقوش نقشا بديعا منمنما
يخال كطريق النمل الأخذ في سيره إلى مسكنه من الربوة في الأرض

(٢) أبيض كالملح : يصف السيف بالبياض . وانتضيتة : جودته من غمده .
وفرى : قطع ، والفري القطع وتصريفه فرى بفري فريا . يقول : سيفي
أبيض كالملح في البياض والصفاء إذا جردته وسالته من غمده فرى وقطع ومزق
حده كل شيء يصادفه لأنه جيد قاطع

(٣) العير هنا الموضع الناقى في وسط السيف والغرب : حد السيف

يُرَى الْمُنُونُ حِينَ تَقْفُو إِثْرَهُ فِي ظُلْمِ الْأَكْبَادِ سُبُلًا لَا يَرَى (١)
إِذَا هَوَى فِي جُثَّةٍ غَادَرَهَا مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ خَسَاوَهُ زَكَا (٢)
وَمُشْرِفُ الْأَقْطَارِ خَاطِئٌ مَخْضُهُ حَابِي الْقَصِيرِ جُرْشَعٌ عَرَّ ذُ النَّسَا (٣)

الذي يضرب به ، والمفتاد : موضع النار . تأكلت أكل بعضها بعضاً . والجذى جمع جذوة وهي الجرة العظيمة ، يصف الموضع الذي بين العير والغرب بتغير لونه من أثر النار . يقول كأنما كانت فيه نار ملتهبة أبتت أثراً لا يفارقه . وإنما يكون السيف كذلك من كثرة مضاربه وما علق به من آثار الدماء .

(١) المنون هنا المنية . وتقفو أى تتبع ، والسبل : الطرق واحداً سبيل يريد أن هذا السيف دليل المنية فهو يريها طرق الموت ، وهذا من رقيق الشعر فهو يقول : إن المنون تتبع آثار هذا السيف وهو يبصرها طرقاً خفية في ظلم الأكباد لا يمكن أن تراها بغيره

(٢) هوى في جثة : أى وقع على جثة ففي هنا بمعنى على . والجنة : الجسد وجمعها جثث . وغادرها : تركها ، ومنه قول الله عز وجل (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) والخسا : الفرد . والزكا : الشفع من العدد والزوج ، وإنما يعنى به أنه إذا وقع هذا السيف على جسد جعله قطعتين بعد أن كان واحداً ، أى أن هذا السيف إذا سقط على جثة شطرها نصفين فصيرها زوجاً بعد أن كانت فرداً

(٣) مشرف الاقطار : يعنى فرسه . والمشرف : المرتفع العالى . والاقطار : النواحي واحداً قطر قال الله جل ذكره (إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا) والخاطي : الغليظ المكتنز . والنحض : اللحم والحابي : بالباء المرتفع . والقصير : ضلع في الجنب وهي الضلع السفلى والجرجشع : الغليظ الاضلاع وهو الشديد من الخيل القصير الاضلاع المتصلة إلى الصلب ، وقيل الجرجشع العظيم الصدر وهو محمود في الخيل . والعرد :

قَرِيبُ مَا يَينَ الْقَطَاةِ وَالْمَطَا بَعِيدُ مَا يَينَ الْقَذَالِ وَالصَّلَا^{٢١}
سَامِي التَّلِيلِ فِي دَسِيعٍ مُفْعَمٍ رَحْبِ اللَّبَانِ فِي أَمِينَاتِ الْعُجَي^{٢٢}

الشديد من كل شيء . والنسا : هرق مستبطن الفخذ يمر بالساق والعرقوب حتى ينتهي إلى الرسغ ، وهو يكتب بالياء والألف لأنه يقال في تشيته نسيان ونسوان . وصف أول صاحبيه وهو السيف بما تقدم ثم وصف صاحبه الثاني وهو الفرس بأنه عالي النواحي وإنما يكون كذلك لعظم هيكله وجسامته وبين ذلك بأنه خاظم اللحم مكتنزه وليس لإشراف أقطاره إبروز عظامه هزالا ولسكن سمنا وقوة ، ثم وصفه بارتفاع أعلاه ومنكبيه وعنقه والمثانة والشدة لاجتماع أسبابها فيه من غلظ الاضلاع وشدة النسا .

(١) القطاة : العجز وما بين الوركين أو مقعد الرديف من الفرس . والمطا : هو الظهر كله سمي بذلك لأنه يمتطي أي يركب . والقذال : جماع مؤخر رأس الفرس ومقعد عذاره أي ينمقد عذاره خلف الناحية وهو ما بين الاذنين . والصلا : العجز وهو آخر الوركين . يصف مؤخرته بالتقارب للقوة والمثانة وبعد ما بين رأسه إلى عجزه لا كتمال جماله بطول عنقه

(٢) السامي : العالي المرتفع . والتليل : العنق وسمى تليلا لأنه يتل منه أي يصرع . والدسيع مغرز المنق في الكاهل . والدسيعة : بالناء في غير هذا الموضع المائدة الكريمة ، ومنه قولهم فلان ضخم الدسيعة أي كثير طعام المائدة . والمفعم : الممتلئ يقال أفعمت الاناء إذا ملأته . والرحب الواسع ومنه سميت الرحبة لاتساعها . واللبان : الصدر . والأمينات : القويات الصالحات سلمات السلاب واحدها أمينة . والعجى : واحدها عجاية بالضم وهي عصب مركب فيه فصوص كفصوص الخاتم تكون عند رسغ الدابة أو كل عصبية في يد أو رجل أو عصبية في باطن الوظيف من الفرس تجمع على عجي وعجى . يصف عنق الفرس بالسمو والارتفاع ومغزه بالامتلاء وصدره بالرحابة والاتساع

رُكْبَنٌ فِي حَوَاشِبٍ مُكْتَنَةٍ ١
إِلَى نُسُورٍ مِثْلَ مَلْفُوظِ النُّوَى ١
يَرْضَخُ بِالْيَدِ الْخَصَى فَإِنْ رَقَى ٢
إِلَى الرَّبِّي أَوْ رَى بِهَا نَارَ الْحَبَا ٢
يُدِيرُ لِاعْلَاطَيْنِ فِي مَلْهُومَةٍ ٣
إِلَى لَمُوحَيْنِ بِالْحَاطِظِ اللَّأَى ٣

وأعصابه بالقوة والثبات لا الخور والضعف

(١) رُكْبَنٌ : يريد المعجى أو القوائم. الحَوَاشِبُ : جمع وهو عظم يبطن الحافر، وقيل بين الرسغ والحافر والمكْتَنَةُ المستورة من كُنِيت الشيء إذا سترته، أو المكْتَنَةُ المكتنزة ويروى مكينة أى غليظة، والنُّسُورُ : جمع نسر، وهى لحمة ناتئة يابسة فى باطن الحافر شبيها بالنواة إما لصلابتها ولأنها على صورة النواة وملفوظ النوى : ما لفظ منه أى رمى به وطرح . يقال لفظت الشيء إذا رميت به . ولفظه البحر يلفظه إذا طرحه ورمى به إلى الساحل . والنوى : جمع نواة وهى ما فى داخل الثمرة من العظم الذى فيها، يصف أعصاب الفرس أو قوائمه وكيف ركبت مع الحوافر وكيف نبئت الحوافر صلابة بارزة

(٢) يَرْضَخُ : يكسر والرضخ الكسر. واليَدُ جمع يداً : القفر، ورقى : ارتفع . والرَّبِّي جمع ربوة وهى السكدة وأورى : أوقد والمستقبل يورى قال الله عز وجل (أفأرىتم النار التى تورون) أى توقدون وقال (فالمرجات قدحاً) فالمرجات قدحاً . والجباحب : دابة تضىء بالليل كأشد ما يكون من النار . واسمها الجباحب فرخم لضرورة الشعر قال النابغة :

تقد السلوق المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الجباحب
يقول إن حوافر هذا الفرس تكسر حصا البادية حين تطؤه ويكاد اصطدام
حوافره بالحجارة يورى كالزناد ناراً مضية لامة ككنار الجباحب فى
لمعائها وبريقها

(٣) الاعْلَاطُ : وعاء ثمر المرخ . شبه أذن الفرس بذلك وهو شبيه بقشور

مُدَاخِلُ الْخَلْقِ رَحِيبٌ شَجَرُهُ^(١) مُخْلُوقُ الصَّهْوَةِ مَمْسُودٌ وَأَيُّ^(٢)
لَا صَمَكٌ يَشِينُهُ وَلَا فَجَا وَلَا دَخِيسٌ وَاهِنٌ وَلَا شَطَا^(٣)

الباقلا الرطبة تشبه به آذان الخيل . والملمومة : الهامة المجتمعة المستوية .
والدوحيان : العينان . والألحاظ : النظرات وهي جمع لحظة . واللائي : الثور
الوحشي والآئي لآة على وزن لعاة . يقول إن هذا الفرس كله حركة ودؤوب
ونشاط لأن آذانه وعينه دائبتا الدوران وذلك إذا كان نشيطا .

(١) المداخل : المجموع . والخلق : الحلقة والصورة . والرحب : الواسع
والشجر : بالشسين المعجمة والجيم والراء مجتمع عظم اللحين ، وقال أبو بكر
الزبيدي الشجر يخرج الفم ، والمخلوق : الأملس يقال مخلوق من الفرس أي
صاو أملس ، والصهوة : من الفرس موضع السرج وهو ظهره . والممسود :
المفتول قال الله تعالى في حق أبي لُب (في جيدها جبل من مسد) . والوأي
الصلب الشديد وهو أيضا السريع من الخيل . يصف الفرس بالقوة وباجتماع
أعضائه ورحابة فيه وأملس متنه ، وإنما قال ممسود لبدو عضلاته وتمايزها
قوة وصلابة .

(٢) الصمك : احتكاك العرقوبين أحدهما بالآخر . وقيل هو اصطكاك
الركبتين . يشينه : يعيبه . والفجا : تباعد ما بين العرقوبين كثيرا وهو الفجع
أيضا . والفجا أيضا : تشقق العصب وانتشاره لفساد وهو عيب . والدخس
تراكم اللحم على حوافر الفرس ، وقيل الدخيس وجع يصيب الفرس في مفاش
حافره . والواهن : الضعيف يقال وهن الشيء إذا ضعف ومنه قول الله عز
وجل (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا) وقال (رب إني وهن
العظم مني) أي ضعف . والشطا : عظم لاصق بالذراع . وقيل الشطا انشقاق
العصب . بعد أن أثبت للفرس الصفات التي تمدح بها أصائل الخيل نفى عنه
العيوب التي تشينه كالصمك والفجا والدخس والوهن والشطا ليتم كماله

يَجْرِي فَتَكْبُو الرِّيحُ فِي غَايَاتِهِ حَسْرَى تَلُوذُ بِجَرَائِمِ السَّحَا^١
لَوْ اعْتَسَفَتِ الْأَرْضُ فَوْقَ مَتْنِهِ

يَجْجُوْنَهَا مَا خَفَتْ أَنْ يَشْكُو الْوَجَى^٢
تَظُنُّهُ وَهُوَ يُرَى مُحْتَجِبًا عَنِ الْعِيُونِ إِنْ دَأَى أَوْ لَمْ يَرْدَى^٣

(١) تكبو : تعثر لوجهها لسبق الفرس لهاها وإنما هو مثل . والغايات : جمع غاية وهي منتهى جريه ، وحسرى : منكشفة قال الله عز وجل (ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير) وتلوذ : تلجأ ، والجرائم : جمع جرثومة ، وهو التراب الذي يجتمع في أصول الشجر ، والجرائم أيضاً الأصول واحداها جرثومة ، والسحا : ضرب من الشجر . يقول إنه يسابق الريح فيسبقها في كل غاية ، ثم زعم أن الريح تسقط دون غاياته منكشفة ، مقهورة مغلوبة على أمرها منه نحو الأرض معتصمة منه بأصول النبات أي بالأرض

(٢) اعتسفت الأرض : يقال عسف عن الطريق مال وعدل وكذلك اعتسفت وتعسف أو خبط على غير هداية يريد قطعت الأرض أي سرت فيها باعتساف منك ، والاعتساف ضد الرفق وهو الماشقة ، ومتنه : ظهره ، ويجربها : يقطعها ويخرقها ، ومنه قول الله عز وجل : (وثمود الذين جابوا الصخر بالوادى) والوجى : الحفا أو أشد منه أو أن يبالغ الوجدع إلى باطن الرسغ . يقول : إن هذا الفرس لقوته وصبره لا يشكو الحفا ولو أنك عدلت به عن الطريق المعروفة وسرت به في الطرق المجهولة فإنه يجوبها دون أن يخاف أو يخشى حفا وذلك لما تارة حوافره وشدة قوائمه

(٣) دأى : جرى وكذلك ردى ، والدأى والردى : ضرب من العدو ، يقال دأى يدأى دأيا ، وردى يردى رديا إذا جرى جريا سريعا . يقول : إنه لسرعته وشدة جريه تظن أن العين لا تدركه مع أنها تراه وإنما ذلك لشدة عدوه

إذا اجتمعت نظراً في إنزله
قلت سناً أو مض أو برق خفاً^(١)
كأنما الجوزاء في أرضاؤه
والنجم في جبهته إذا بدا^(٢)
ثما عتادي الكافيان فقد من
أعدته فليتنا عنى من نأى^(٣)
فان سميت برحى منصوبة
للحرب فاعلم أنني قطب الرحى^(٤)

(١) اجتمعت: تكلفت النظر، وإنزله: خلفه، والسناء: مقصور الضوء قال الله عز وجل (يكاد سنا برقه يذهب بالابصار) وأومض: أضاء ولمع لمعا خفيفاً يقال في تصريفه أومض يومض إيماضاً فالواو فيه أصلية، والخفوا لمع البرق في نواحي الغيم يقال خفا البرق يخفو خفوا. يشبهه يومض الضوء ولمع البرق وهذا نهاية السرعة

(٣) الجوزاء: نجم معروف وهو التوأمان، والأرساخ جمع رسخ: وهو مفصل ما بين الحافر والوظيف من كل دابة. والنجم: وهو الثريا. وبدا: ظهر وهو غير مهموز، يقول: إن هذا الفرس أغر محجل

(٢) هما: يشير إلى صاحبيه اللذين تقدم ذكرهما في صدر المقصورة بقوله: وصاحبي صارم في مثنه مثل مدب النمل يعلو في الرقي

وهما السيف والفرس، والعتاد: ما يتخذ عدة للدهر ويهيؤ بحضرة من يتخذه يقال عتد الشيء يعتد فهو عتيد إذا حضر قال الله جل ذكره (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)، والكافي: المغني، فليتنا: أي فليبعث من نأى إذا بعد. يقول إنهما بغنياني عمن اتخذته لي عدة ودريئة فسيني و فرسي عدي التي غنيته بها عن كل أحد مفقود متباعد ولست أريد معي نالي ومساعد غيرهما ولا صاحبها

(٤) برحى منصوبة يريد برحى الحرب وهو موضع استدارة أهلها إذا تعاركوا وقد يراد بالرحى التي يطحن عليها، والقطب: الحديد أو الخشب التي تدور عليها وأنشد

وإن رأيت نار حرب تلتظى فأعلم بأنني مسعر ذاك الأظنى^(١)
 خير النفوس السائلات جبهة^(٢) على ظببات المرفقات والقنا^(٣)
 إن العراق لم أفارق أهله^(٤) عن شنان صدني ولا قلى^(٥)
 ولا أطبي عيني مذ فارقهم شيء يروى العين من هذا الوري^(٦)

فدرونا كما دارت على قطبها الرحي ودارت على هام الرجال الصفائح
 يفخر بأنه فارس الميدان لا يعتمد على أحد غير نفسه
 (١) تلتظى : تشتعل ، ومسعر : موقد ، والظنى : اللهب ، وهذا غير أيضا
 بأنه لحبه للقتال ولشجاعته هو يشب نار الحرب مبتدئا فليس موقفه موقف
 المدافع وإنما هو يسعرها ويوقدها لشدة وقوته وإبائه الضيم والاذلال .
 (٢) والسائلات جمع سائلة والمراد بها المراقبة وإنما المراد الدم . وجبهة :
 عيانا ، والظببات جمع ظبة : وهي حد السيف ، والمرفقات : السيوف الرقاق
 واحدها مرفق ، والقنا : الرماح واحدها قناة . يقول إن خير النفوس أي
 القداماء التي تسيل في مواطن الحرب على ظببات السيوف والرماح وهذا كالدليل
 (٣) العراق : بلاد من عبادان إلى الموصل طولا ومن القادسية إلى حلوان
 عرضا ، وسميت العراق عراقا لأنها شاطيء دجلة والفرات ، ولم أفارق : لم
 أزيل ، وأهله سكانه ، والشنان : البغض ، يقال شنانا وشنانا وشنا ، وصدني
 منعني وصرفني ، ويروى عن شنانا صدني ، يقال صده وأصده بمعنى واحد
 قال الشاعر :

أصد نهض ذي القرنين حتى تولى عارض الملك الهام
 والقلى : البغض . يقول لأنني لم أفارق أهل العراق لا لبغض أو عداوة
 (٤) ولا أطبي : ولا دعا ولا استمال . يروى : يعجب . والوري : الخلق .
 يقول : إن عيني لم تقع في الدنيا على إنسان حصن الظاهر جماله يستهوى القلب

ثُمَّ الشَّنَاخِيبُ الْمُنِيفَاتُ الذَّرَى وَالنَّاسُ أَدْحَالُ سِوَاهُمْ وَهَرَى^١
 ثُمَّ الْبُحُورُ زَاخِرٌ أَذِيهَا وَالنَّاسُ ضَحَضَاحٌ ثَعَابٌ وَأَضَى^٢
 إِنْ كُنْتُ أَبْصَرْتُ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ مِثْلًا فَأَغْضَيْتُ عَلَى وَخَزِ السِّفَا^٣

وَيَسْتَمَلُ الْعَيْنُ مِنْذُ قَارِقَةِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ .

(١) الشَّنَاخِيبُ: أطراف الجبال واحدها شَنْخُوب ، والمنيفات : المرتفعات الطوال الشواحق ، والشواحق جمع شاق وهو ما شقق من الجبال أى طال والذرى : جمع ذروة وهى أعلى الجبل ، والأدحال : جمع دحل وهى الحفيرة الغامض من الأرض يتسع أسفلها ويضيق أعلاه ، وهوى : أى لا يساوون شيئا ، يمدحهم بالرفعة على سائر الناس ، وأن الناس غيرهم ما بين ساقطٍ رذال أو مرتفع فارغ كالهواء

(٢) الزاخرات : جمع زاخر ، والزاهر الماء الكثير الفائض ، يقال زخر البحر إذا كثرت ماؤه وارتفعت أمواجه ، والأذى : الموج جمعه أواذى ، والضحضاح : الماء القليل لا عمق له يكون إلى الكعبين وأنصاف الساقين ، والثعاب : جمع نعب ، وهو الموضع المطمئن فى أعلى الجبل ليستنقع فيه ماء المطر ، والأضى : جمع أضاة ، وهى الغدران الصغار . يقول إنهم هم البحور الزاخرة المثلثة التى تفيض على الأرض ومنها المطر والناس عداهم منكشفون لأصل لهم كالماء الضحضاح القليل الغور

(٣) أغضيت : صبرت على المكروه أى أغضمت عيني وسدتها والاغضاء الصبر على المكروه ، والوخز طعن غير نافذ ، وقيل الوخز الطعن بسرعة ، وقيل الوخز الشوك ، والسفا : مشرك الهوى . يقول : لأننى لم أبصر فى حياتى مثلاً لهم ولا نظيراً ، فإذا ادعت عيني أنها رأت لهم نظيراً حشيت عيني شوكاً فأغضمت عليه ومرضت من شدة وخزه وإيجاعه

حاشا لاميرين اللذين أوفدا على ظلًا من نعيم قد ضفا^(١)
 هما اللذان همرا لى جانبها من الرجاء كان قدما قد عفا^(٢)
 وقلداني منة لو قرنت بشكر أهل الأرض عني ما وفي^(٣)
 بالعشر من معشارها وكان كما حسوة في آذى بحر قد طمى^(٤)

(١) أوفدا : أى أرسلنا يقال أوفد فلان فلانا إذا أرسله ، وضفا : أى كثر من قولهم ضفا ذيل الفرس إذا كثر وطال ، ونعم ضافية أى كثيرة . بعد أن وصف أهل العراق بما وصف من علومهم ورفقهم على الأنعام استثنى من غير أهل العراق الاميرين فقال - حاشا هما فقد أظلفي نعيمهما الضافي

(٢) همرا : أى أصاحبا يقال عمر فلان منزله إذا أصاحبه وسكنه ويرى بالفتح المعجمة أى غطيا من قولهم غمره الماء أى غطاه ومعناه ستر ما تكشف من جوانبي ، والجانب : الناحية وجمعه جوانب . والرجاء : بالمد الأمل . وقدا : أى قديما ، وعفى : أى درس يريد أنها قد أحيا ميم آماله التى كانت قد عفت ودرست وقطعت من تحقيقها

(٣) قلداني منة : جعلها فى عنق وهو موضع القلادة ، والمنة : النعمة وجمعها منن . وقرنت أى عدلت وقيست . وقوله ما وفي : أى ما قام بها ولا عدلها شكوم . يقول إن منتهما التى قلداني إياها عظيمة جدا بحيث لو قام أهل الأرض عني بشكرها لا قبضت شكرا زائدا على شكر أهل الأرض وهذا تمثيل لقصوره وعجزه عن شكر نعمتهم عليه

(٤) العشر : جزء من عشرة أجزاء والمعشار كذلك وعشر المعشار هو جزء من مائة جزء . والحسوة : الجرعة مما يشرب وهى للطائر وهى تعد بالقطرة فما عسى أن يأخذ قم الطائر من قطر الماء . والآذى : الموج . وطمى : امتلا وارتفع . يبين أن شكر أهل الأرض لا يفي بالمنة التى لها فى عنقه

إِنَّ ابْنَ مِيكَالَ الْأَمِيرِ أَنْتَاشَنِي مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كُنْتُ كَالشَّيْءِ اللَّقَا^١
وَمَدَّ ضَبْعِي أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْ

بَعْدِ انْقِبَاضِ الذَّرْعِ وَالْبَاعِ الْوَزَى^٢

فحسب بل إن ذلك الشكر جميعه لا يفي حتى بعشر معشار هذه النعمة أى بجزء
من مائة جزء منها . ثم شبه الشكر بالنقطة الصغيرة من الماء يحسرها الطائر من
بحر ذى موج مرتفع اعظم امتلائه بالماء .

(١) ابن ميكال : هو عبدالله بن محمد بن ميكال . وميكال اسم أعجمى لا ينصرف
فى المعرفة وينصرف فى النكرة وهو فارسى من أمراء فارس . وانتاشنى :
نعشنى ، وقيل معناه تناولنى وأخذنى مقربا اليه . والعرب تقول الظبية تنوش
الأراك وتنتاشه أى تتناوله بفمها قال الله تبارك وتعالى (وأنى لهم التناوش
من مكان بعيد) أى وكيف لهم التناول من مكان بعيد . ونشت الرجل نوشا
أثقلته خيرا . والأراك : شجر يستاك بعوده قال الشاعر

إذا همى لم تستك بعود أراكه تنخل واستاك به عود أسحل

تنخل : اصطفى واختير ، والأسحل أيضا شجر يستاك بعوده . واللقى :
الشيء المطروح الملقى يقال لرجل لقي وقوم ألفاء وكل ما يلقى ويطرخ فهو لقي
يقول إن الأمير ابن ميكال عمه بخيره ورفع قدره وأسناه وبلغه الرتبة
العالية السامية من بعد ما قد كان شيئا لا يؤبه له ولا يحس بوجوده ولا
تعرف له قيمة كالشئ التافه المطروح فى الأرض لهوانه على أهله وعدم
اكثر ائهم به .

(٢) المد : البسط ضد الانقباض ، وضبعى : عضدى . والضبع وسط
العضد . وأبو العباس : هو اسماعيل بن عبد الله بن ميكال فدح الأب والابن وكان
الابن تلميذ ابن دريد . والذرع والذراع واحد . والباع : القامة ومنه الحديد

ذاك الذي ما زال يَسْمُو للعلیٰ بفعله حتى علا فوق العلاء^(١)
 لو كان يَرْقِي أحدٌ بجوده ومجده إلى السماء لا رَتَقِ^(٢)
 ما إن أتى بحر نداء مُعْتَفٍ على أوارى علمٍ إلا ارتوى^(٣)
 نفسى الفداء لأَمِيرٍ وَمَنْ تحت السماء لأَمِيرٍ الفدا^(٤)

الذى جاء عن زمان الطوفان فان الماء سار على وجه الأرض سبعين باعا وعلى
وموس الجبال سبعين ذراعا . والوزى : القصير يقال رجل وزى وامرأة وزاة
يقول : إن عضدى قوى وذراعى طال وساعدى امتد بالأمير اسماعيل

ابن عبد الله أبي العباس الميكالى بعد أن كان منقبضا ضعفا وعجزا وانكماشاً .

(١) ذلك إشارة إلى البعيد وقد يقصده الأب الممدوح بالبيت قبله ولكن

لا مانع من انصرافه إلى الابن وأشار إلى تعظيمه بالبعد . ويسمو : يرتفع .

(٢) يرقى : يرتفع ويعلو ، والجود : الكرم ، والمجد : معالى الأمور والفضائل

يقول : إن جوده ومجده واسطنا الرقى والارتفاع إلى نهايات الرفعة والكمال .

(٣) أتى : قصد ويم ، والندى : الكرم ، والمعنى صاحب العطاء والكرم

والعافى من يعفو عن الآثام قال تعالى (والعافين عن الناس) ، وأوارى علم

أى أعلى جبل ويروى يشكو أوارى عيم أى يشكو ظمًا وعطشا ، وارتوى

أصاب ريا بذهاب ظمئه . يقول إن ساحة جوده وكرمه كالبحر لا يقصدها

طالب متمطش إلا أصاب ريا ، وعلى الرواية الأولى يقول إن نداء يبلغ

الطالبين ولو كانوا بأعلى الجبال ، يريد أن بحر نداء خضم متلاطم الأمواج

وكرمه كال موج يصيب به من يقطنون أعلى الجبال فضلا عن سهول الأرض

(٤) الفدا : يمد ويقصر فن قصره كته بالآلف ومن العرب من ينتج

فدى لك ويقصره ، والانداء : كيل التمر فملى هذا يكون الواحد فدى ومنهم

من يقول الفداء بفتح الفاء والمدة للتمر المجموع ، ولغة رابعة فى الفدا يقال

١١ هما اللذان أثبتنا لى أملاً قد وقف اليأس به على شفا
١٢ تلافياً العيش الذى رنقه صرف الزمان فاستساغ وصفا

فدا لك منى على الكثير مثل حاف تقول فدا لك أبى وأنشد
مهلا فدا لك يا فضاله أجره الرمح ولا تناله
والسما همزتها من واو والأصل سماو فبكل واو وياها إذا دخلت بعد ألف
طارفا انقلبت همزة ، والسما هذه المرتبة وهى سبع سموات خلقها الله عز وجل
من دعاف علا من بخار الماء وبنها فسمها الله سما ثم فتق تلك الواحدة فجعلها
سبع سموات قال الله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا
رتقا ففتقناهما) وقال آخرون بل فتق السماء بالمطر والأرض بالنبات ، وفدا
معرب يقال أنا الفدا لك . يقول لانى فداء لأميرى وكذلك كل من تعبه
السماء فداء لأميرى .

(١) هما : يريد الأميرين ابني ميكال اللذين مدحهما بالمقصورة . أثبتنا : حققا
وأوجدا بعد أن لم يكن أو أنعشا وأحييا الأمل الميت الذى كان يقتله اليأس
وذلك بما خولاه من نعمة وما جادا به عليه من عطاء . والأمل المراد والرجاء
واليأس انقطاع الرجاء ، والشفا : الحافة والحرف والطرف . قال الله تعالى :
(وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) يقول : إن أملى لولاهما
لقتله اليأس وألقاه فى شفا الهاربة والدمار .

(٢) للتلافى : التدارك ، وقيل تلافياه أنياه على قصد ، والعيش : مابه
مادة الحياة والترنيق : التكدير يقال رنق الماء أى كدره ، وهو من أسماء
الأضداد فيقال رنقه أيضاً إذا صفاه . ورنق الله قذاتك أى صفاه .
وليس هذا هنا مراد ، وصرف الزمان : أحواله وتقلبانه على الانسان
بالغير من سوء الى حسن . ومن مرض الى صحة ومن فقر الى غنى وضعف
الى قوة ومن تفرق الى اجتماع وأضدادها . واستساغ : سلس وانقاد فى الخلق

وأجزى أماناً الحيا إلى رَغَدًا فاهتزَّ غُصْنِي بعدما كان ذَوِي^(١)

هُمَا اللَّذَّانِ سَمَوَا بناظِرِي

منْ بَعْدِ إغْضائي على لَذْعِ الْقَذَى^(٢)

وأصل ذلك من السَّوْغ وهو ما تساغ به الغصنة تعرض للأكلى فى الحلق من شراب أو ماء يقال هذا شراب سائغ أى طيب . وصفا : خلص من كل مكدر والصفو ضد الكدر .

يقول : إن هذين الأميرين وجدا عيشى مرتقا وكدرأ لا طاقة لى على استساغته وتحمله فتدار كافي برهما وكرمهما وعطفهما على بما جعلنى أستسيغ الحياة وخلص عيشى من السكدورة قال الشاعر :

فساغ لى الشراب وكنت قبالا أكاد أغص بالماء الفرات

(١) جرى الماء ونحوه : سال واندفع وتحدر ، والحيا : الغيث والخصب والمطر مقصور وقديم وقد إنما سمي حيا لأنه سبب الحياة ومادتها . والرغد : السعة فى العيش قال الله تعالى لآدم ولزوجه (وكلا منها رغدا حيث شتما) . واهتز غصنى : أى طال واهتزت الأرض إذا أنبتت وأصل الهز التحريك ، فكأنه يريد تحرك ليمتد ويطول ، قال الله تعالى (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت . والغصن : ما تشعب من ساق الشجرة دقاقها وغلاظها . والجمع غصون وغصنة وأغصان . والمراد بغصنه عوده . وذرى : البقل يذرى ذبل . يقول إن النعمة الضافية والسعادة والأرزاق التى امتدت الى بسببهما كانت لى بمثابة نهر جار يملؤه بماء الحياة أعاد إلى جسمى رونقه وبهاءه . بعد أن كان ذاوياً قابلاً مضمحلاً .

(٢) سما الشيء : ارتفع وسما به علاه ورفعته ، والناظر : العين أو إنسانها والأغضاء : أطباق العين أو مقاربتة ، واللذع : الحرقه . يقال لذعته النار فلذعه إذا أحرقتة والقذى : ما يقع فى العين ، يقال قذيت عينه قذى وقذيانا

لَا زَالَ شُكْرِي لَهُمَا مُوَامِلًا لَفِظِي أَوْ يَعْتَاقَنِي صَرْفُ الْمَنَّا^(١)
 إِنَّ الْأَوَّلَى فَارَقَتْ مِنْ غَيْرِ قَلِي مَا زَاغَ قَلْبِي عَنْهُمْ وَلَا هَفَا^(٢)
 لَكِنَّ لِي عَزَمًا إِذَا أُمْتَطِيَتْهُ لِمُتَّعَهُمُ الْأَمْرِ فَآهٌ فَانْقَمَى^(٣)

إذا وقع فيها القذى . وإنما يريد به المعنى الحسى لا القذى الحقيقي يقول :
 لئنهما أحلاني موطن الكرامة ، ففتحا أمام عيني الحياة والسعادة ،
 بعد ما كنت أغض النظر على كل مؤلم مكروه شأن الضعيف الواهن .

(١) الشكر : المكافأة وهو فعل لازم يتعدى بالحرف شذ قول الشاعر
 شكرت بني عوف فلم يتقبلوا رسولاً ولم تنجح لديهم وسائل
 ويروى نصحت بني عوف . ويقال : شكرت بك كما يقال كفرت بك .
 ويعاقني معناه يعوقني ونسبه لأن المعنى حتى يعتاقني واعتاقه الموت كاعتقاه ،
 وصرف المنّا أراد المنايا ثم اجتزأ كما قال الشاعر

درس المنّا بمتالع فأبان . أراد المنازل ، وإن أراد بالمنّا القدر كتبه بالياء
 لأنه يقال منى الله لك كذا يمينه . والمنّا الذي يوزن به بالآلف وتثنيته منوان
 والمنّا : الحذا كمحاذاة الأمر الاسم . يقال دارى المقارنة تمنا دار فلان أى
 تماذاها . يقول سأشكرهما مدة حياتي ويواصل بلساني شكرهما مدة تلفظه
 لا يحول بينه وبين مواصلة ذلك الشكر شيء إلا صرف المنون

(٢) الأولى بمعنى الذين وفارقت صلته والعاثد محذوف لطول الاسم بالصلة
 والأصل الذين فارقتهم . والقلى : البغض . وما زاغ : ما زال ومنه قوله تعالى
 (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) أى لا تزها عن الإيمان ومعنى زاغ أيضا
 مال ومنه قوله تعالى (ما زاغ البصر) ، وهفا : مال من الميلان أيضا ويكتب
 بالآلف من هفاهفو . يقول : إني لم أفارق أهل العراق عن بغضة وإن قلبي
 لا يزال متعلقا بهم لم يمل ولم يزل متجها بكليته إليهم .

(٣) ويروى الخطب . والعزم والعزيمة واحد ، قال الله تعالى (فاذا عزمتم

وَأَوْ أَشَاءَ مَدَّ قُطْرَيْنَهُ الصَّبَا عَلَى فِي ظِلِّ نَعِيمٍ وَغْنَى^{١)}

فتوكل على الله . وامتنطية : ركبته ، ومبهم الخطب : الأمر المستغلق لاجتهدي
لفتحه . وفآه أى شقه وفتح يقال للشق بين الجبلين الفآة ويقال ضربته بالسيف
على رأسه ففآه أى شقه نصفين وفأوت رأسه فافأى أى انفعل منه . وانفأى
يكتب بالياء بعد الهمزة . يقول إن له عزما قويا إذا جردته لأمر مبهم أو ضحه
وبين مناهجه ومعاله .

(١) أشاء : على زنة أفعل والاصل أشيا فانقلبت الياء ألفا ومدت لحي . الهمزة
بعدها فالمصدر شئت أشأ شيئا وشيئة . فأنا شأتى . والقطران : الطرفان
والناحيتان والقتر مثله . والصبا مصدر صبوت صبأ وصبوت صبا بفتح الصاد
والمد فأما الصبا بغير مد فالريح وسمى الصبي صبيا لأنه يصبو إلى كل أمب .
والصا بثون قوم لا دين لهم يصبون من دين إلى دين . وقبل يعبدون الملائكة
وقيل قوم بين اليهود والنصارى يكونون بجزيرة الموصل ، وغنى بكسر الغين
مقصود ضد الفقر يكتب بالياء غنينا غنى بكسر الغين ، فاذا مددت فهو هذا
الغناء المعروف

تغن بالشعر إما كنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لا غنى إلا غنى النفس » وقال رؤبة
مأبى غنى عنك وإن غنيت . قال الفراء وإن اضطر شاعر فد غنى النفس ضد
الفقر جاز وانهد

سيغنينى الذى أغناك عنى فلا فقر يدوم ولا غناء
وأنشد الأصمى فى القصر

وما يدرى الفقير متى غناه وما يدرى الغنى متى يعيل
يعيل : يفتقر ، قال الله تعالى (فان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله)
حدث أبو عمرو عن ثعلب عن ابن الأعرابي قال الغناء بالمد اسم موضع . وقال
ابن دريد : الغناء بالمد والكسر رمل معروف . وأنشدنا جميعا :

وَلَا عِبَتِي غَادَةً وَهَنَانَةً تُضْنِي وَفِي تَرَشَافِهَا بُرَّةُ الضَّنَانِ^(١)
 فِي خَدَّهَا رَوْضٌ مِّنَ الْوَرْدِ عَلَى النَّسْرِ^(٢) قِنِّ بِالْأَلْحَاطِ مِنْهَا يُجْتَنَى^(٣)
 لَوْ نَاجَتْ الْأَعْصَمَ لَانْحَطَّ لَهَا
 طَوْعَ الْقِيَادِ مِنْ شِمَارِيخِ الذُّرَى^(٤)

يخرج عن رمل الغنا للأعين شهرين ما في السر من طفل البغا
 أى من إبطاء فأما الغناء فمدود بفتح الغين فمن قولك ما عند فلان غناء أى كفاية
 (١) الغادة القياد : المرأة تثنى ليلى ونعمة ، والوهنانة : المراحة الضحاكة
 وتضنى : أى تسقم عاشقها إذا تباعدت ، وتبرىء بريقها وامقها ، والضنى :
 يكتب بالياء من ضنى يضنى ، والترشاف : التفعال من رشف ويقال رشف
 يرشف إذا مص رضاب جاريته ، والبرء : تكلمه بغير واو لين والهمزة إذا
 تطرفت وسكن ما قبلها لم تصور خطأ . وهو مصدر برأ برأ برأ فهو بارى ،
 وبرأ لغة وبريت من الدين بالياء أيضا ، وبريت القلم أبريه وحكى ابن دريد
 بروت القلم أبروه وأبريت الناقة أبريها جعلت في أنفها البرة . ويروى تصبي
 وفي ترشافها برء الصبا . وكلاهما وجيه .
 (٢) النسرين : النور الأبيض ، والألحاط : النظرات جمع لحظة ، ويجتنى :
 يقنطف .

(٣) ناجت : تكلمت . والأعصم : الوعل الذى فى إحدى يديه بياض
 وربما كان البياض فيهما ، وسمى وعلا للبياض الذى فى أظلافه ، والأظلاف :
 جمع ظلف ، وهو الخف الذى يكتشف رجل الطيبة ، وانحط : أنزل ،
 والقياد : التذليل ، والشماريخ : رؤوس الجبال واحدها شمراخ ، والدرى :
 أعلى الجبال واحدها ذروة . يقول : لأنها لجملها تنزل الأوعال من أعلى
 الجبال أى أن لجملها جاذبية ساحرة الأبواب تأمرها يصفها بحسن الصوت أيضا :

أَوْ صَابَتْ الْقَانِتُ فِي مَخْلُوقٍ مُسْتَصَبَبِ الْمَسْلَكِ وَعَرِ الْمُرْتَقِي^(١)
 أَلْهَاهُ عَنْ تَسْبِيحِهِ وَدِينِهِ تَأْنِيسُهَا حَتَّى تَرَاهُ قَدْ صَبَا^(٢)
 كَأَنَّمَا الصَّهْبَاءُ مَقْطُوبٌ بِهَا مَا جَنَى وَرَدٍ إِذَا اللَّيْلُ عَسَا^(٣)

يصف الغادة الوهانة التي لاعبته ولطت معه بأن وجهها روضة حسن جمعت
 بين جمال الورد ونضرتها ولونه الأحمر وبياض الذريرين غير أن جناها يؤخذ
 بلحظ العين لطفه ورقته لا يقتطف باليد .

(١) صابت : وافقت . وافقته يقال صاب السهم وأصاب إذا وقع في
 الرمية ، وصادفها ، وصاب السحاب الموضع وأصابه إذا أمطره ، والقانت :
 القائم بالعبادة المطيع لله الزاهد فيما يرغب الناس فيه من الدنيا ، قال الله
 عز وجل (كل له قانتون) أى مطيعون ، و (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله)
 أى مطيع ومتعبدا وارتياذه : سلوكه ، والمخلوق : الجبل الأملس الطويل .
 الذى لا نبات فيه ، والمستصعب : أى الصعب ارتياذه وسلوكه ، والمسلك :
 الطريق الذى يسلك فيه أى يدخل ويمشى ، المرتقى : المصعد وهو الذى يرتقى
 إليه ، والوعر : الصعب . أى لو عرضت الى متعبدا انقطع عن الناس وزهد في
 الدنيا وزخارفها وسكن في مفازات الجبال الصعبة التى لا يستطيع الوصول اليها
 تقشفا وزهدا بعيدا عن العمران

(٢) ألهاه : شغله ، والتسبيح : التنزيه لله عز وجل وهو التبرئة من كل ذم
 وقد يكون التسبيح بمعنى الصلاة ، يقال سبحت أى صليت ، ودينه : أى طاعته
 وتأنيسها : أنسها وحديثها ، وقوله حتى تراه قد صبا : أى قد لها وفعل فعل
 الصبيان ، وصبا يكتب بالآلف لأنه من ذوات الواو . يقول : إنه لشدة ما
 يؤنس من رؤية وجهها الجميل وسماع مناجاتها الحلوة العذبة لا ينصرف عن
 عبادته وتسبيحه لحسب بل يصبر اليها ويفتن بها

(٣) الصهباء : الخمر سميت بذلك لصبو لونها ، والمقطوب الممزوج وكذلك

يَمْتَا حُهُ رَاشِفُ بَرْدٍ رِيْقَهَا بَيْنَ بِيَاضِ الظَّلَمِ مِنْهَا وَاللَّمَى^(١)
سَسَقِي الْعَقِيقَ فَالْحَزِيزَ فَالْمَلَا إِلَى النُّحَيْتِ فَالْقُرَيَّاتِ الدَّنَا^(٢)
فَالْمَرْبِدَ الْأَعْلَى الَّذِي تَلْقَى بِهِ مَصَارِعَ الْأَسَدِ بِالْحَاطِظِ الْمَهَا^(٣)

المشوب بمعنى واحد ، وماء جنى ، ورد : أى ماء جنى من الورد طريا أى قطف والجنى : اسم ما جنى ، وعسا الليل : أظلم ، ويروى غسا بالغين المعجمة ومعناها واحد . يقول إن ريقها نخر مزجت بماء الورد المجتنى ليلا حيث النسيم عليل صاف بالغ النهاية فى الرقة واللفظ والصفاء .

(١) يمتا حه : يستقيه ، والممتاح الذى يغرف بيديه من أسفل البئر اذا قل الماء ، والماتح بالتاء الذى يمد الحبل فى البئر ليستقى ، والراشف : المتناول الشراب بشفتيه ، وريقها : لعابها ، والظلم : بفتح الظاء بياض الأسنان حتى كأنها من شدة البياض يعلوها سواد ، واللوى : سمرة الشفتين يقال رجل ألمى وامرأة لمياء واللوى أيضا قلة اللحم والدم على اللمة ، والشفب : برد ريقها وعذوبته يقول إن الذى يمتص رشقات ثغرها إنما يمتص النخر الممزوجة بجنى الورد . الغض النصير .

(٢) العقيق موضع بالبصرة ، والعقيق أيضا موضع حول مكة على أميال منها ، والعقيق قرية بالمدينة ، والحزير والملا والنحيت مواضع بالبصرة ونواحيها والقرىات : جمع قرية مصفرة ، والدنا : مادنا منها . يدعو لهذه المواضع بالسقيا لتمظيمها عنده ومحبة لها ، ولأنها مساكن السادة البواسل الفحول أهل المجد والشرف .

(٣) المربد : موضع بالبصرة وهو سوق تجتمع فيه العرب ، وكان الأخفش سعيد بن مسعدة يقول المربد بفتح الميم وكسر الباء مثل المسجد على وزن مفعول ومصارع الأسد : مواضع سقوطها عند الموت وأراد بالأسد الرجال فكفى عنهم بالأسد لاجتماعهم ، وأراد أنهم صرخوا بالحاطظ المها : أى قتلهم الحاطظ

مَحَلَّ كُلِّ مُقَرَّمٍ سَمَّيْتُ بِهِ مَا تَرُ الْآبَاءُ فِي فَرْعِ الْعُلَا^(١)
 مِنْ الْأُولَى جَوْهَرُهُمْ إِذَا عَتَزُوا مِنْ جَوْهَرٍ مِنْهُ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى^(٢)
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا جَنَّ اللَّهُ جِي
 وَمَا جَرَّتْ فِي قَلَمِكَ شَمْسُ الضُّحَى^(٣)

النساء الحسان البيض المشبهة بالمها وهي بقر الوحش الواحدة مهاة فالأحماظ هي
 الفاعلة في المعنى ، والاحظ : النظرات . وكذلك يطلب السقيا المربد
 الأعلى ويصف نساءه بالجمال ورجاله بالشجاعة والبسالة وبأنه مجتمع
 أولئك وهؤلاء ومرتادهم . وأن فيه الإما كن التي لاقى بها العاشقون حتفهم
 وصرعتهم أعين الغيد الحسان .

(١) المحل : الموضع الذي يحله القوم للمقام فيه أي ينزل به القوم للاقامة
 والمقرم : السيد الكريم وأصل المقرم فحل الابل . وسميت به : أي ارتفعت
 به . والمآثر : جمع مأثرة وهي الصنائع الحسنة والأفعال الرضية . وفرع كل
 شيء أعلاه ، ومنه فرعت الجبل إذا علوته ، وفروع الشجرة أعالي أغصانها
 واقترعت المرأة : إذا افتنضتها وأصله إذا علوتها . والأفرع : طويل الشعر
 يقول : إن هذه الإما كن السالفة هي مواطن الكرام الفحول الذين توارثوا
 الشرف والمجد عن آبائهم وسموا إلى المعالي

(٢) من الأولى : أي من القوم الأولين . وجواهرهم : أصلهم ، وجوهر
 كل شيء خالصه . إذا عتزوا : أي إذا انتسبوا يقال اعتزيت إلى فلان أي
 انتسبت إليه والمصطفى : المختار . يقول إنك إذا أردت أن تنسبهم وجدتهم
 ينتسبون إلى النبي المصطفى وهذا أبلغ الشرف .

(٣) جرت : سارت . وشمس الضحى : تسمية للشمس ببعض وقتها لأن
 إشراقها فيه يكون أتم . يطلب من الله الصلاة على رسوله المختار أو يخبر بأنه

جَوْنٌ أَطَارَتْهُ الْجَنُوبُ جَانِبًا مِنْهَا وَاصَتْ صَوْبَهُ يَدُ الصَّبَا^(١)
 نَأَى يَمَانِيًّا فَلَمَّا انْتَشَرَتْ أَحْضَانُهُ وَامْتَدَّ كَسْرَاهُ غَطَا^(٢)
 فَجَلَّلَ الْأَفَقَ فَكُلُّ جَانِبٍ مِنْهَا كَانَ مِنْ قَطْرِهِ لِلْمُزْنِ حَبَا^(٣)

صلى عليه صلاة دائمة متلاحقة ما دام الزمان الليل والنهار فاللهم صل وسلم
 وبارك عليه أبدا

(١) الجون من الأضداد أى يكون الأسود ويكون الأبيض . والجنوب
 الريح القبلية نهي . بالمطر . وواصت : واصلت ، يقال واصل وواصله بمعنى
 واحد ، والصوب : نزول المطر يقال صاب يصوب صوبا ، والاسم الصيب ،
 قال الله تعالى (أو كصيب من السماء) والصبا : الريح الشرقية . وهذا استئناف
 لا علاقة له بما قبله إلا أنه دخول على مدحهم بالكرم والندى وأن لهم
 صفة الغيث . والسحاب الممطر المرصحن بالماء تحمله إياه رياح الجنوب والصبا
 (٢) نأى يمانيا : أى طلع مبعداً من ناحية اليمن يريد الغيم . وانتشرت : أى
 كثرت وظهرت . وأحضانها : نواحيه وأصل الحضان مادون الإبط إلى الكشح
 وكسراه : ثنية كسر وهو طنب الحباء ، وإنما كنى بالكسرين عن أذيال السحاب
 وهو استعارة ، وإنما يريد أن السحاب جرت على الأرض أذيالها . وغطا :
 ارتفع وقيل انبسط ، يقال غطا الليل يغطو إذا انبسطت ظلمته . يصف الجون
 الذى أمده ريح الجنوب بمائها وأدامته رياح الصبا فأقبل من جهة اليمن فعم
 بأحضانها كل النواحي ، وانتشر فى الأرجاء والبطاح ، وامتدت أذياله وستر
 كل ما علاه .

(٣) جلل : غطى ، ومنه سمي جل القمرس جلا لأنها تجلل به أى تغطى به
 والآفاق الناحية وجمعه آفاق وأطلق الأفق وأراد الآفاق لقوله فكل جانب منها
 ومن قطره : أى من ناحيته وجمعه أقطار على رواية من رواه بضم القاف ،

وَطَبَّقَ الْأَرْضَ فَكُلُّهُ بِقَعَةٍ
مِنْهَا تَقُولُ الْغَيْثُ فِي هَاتَا تَوَى^(١)
إِذَا خَبَتِ بَرْوَقُهُ عَنَّتْ لَهَا
رِيحُ الصَّبَا تُشَبِّهُ مِنْهَا مَا خَبَا^(٢)

والقطر جهة من جهات الأفق وعلى هذه الرواية يرى حياً بالباء بنقطة واحدة من أسفل، ويكون معنى حياً امتد ودنا من الأرض لثقله بالماء يريد السحاب ، ويروى كأن من قطره كان حياً بالياء المنقوطة بنقطتين من تحت وقطره بفتح القاف وتقديره غطى هذا السحاب الأفق . وفكل جانب : من جوانب هذه المواضع . وكأن من قطره : أى من صوبه . وحيا : أى خصبها . والمزن : السحاب والواحدة مزنة وتصغيرها مزينة . والقطر : بفتح القاف الماء السائل متقطعا يقال منه قطر يقطر قطرا . يقول إن هذا السحاب غطى الأفق وستره حتى لم تبق جهة من الجهات والاقطار سيق الماء الماطر من كل جهة وجانب إلا حيا وامتد منها وسيق منها ذلك سحاب ، بل ار الناظر اليه ليرى أنه سيق وامتد من كل قطر .

(١) وطبق الأرض : غطى الأرض هذا السحاب فصار لها كالطبق . فكل بقعة : أى مكان . فى هاتا : أى فى هذه البقعة وهو بمنزلة هذا للمذكر . وثوى : أقام . يقول كأنما مطر هذا السحاب جلال بقاع الأرض كلها وعمها وأصابها بوابل منه فكل مكان تراه ينطق ويتحدث لغزارة جوده بأنه وحده الذى ثوى فيه الغيث وأصابه وذلك لكثرة ريعان أرضه وامتداد ثمارها ووفرة زروعها وخصبها لارتوائها بالغيث وزيادته فيها .

(٢) خبت بروة : أى أطفئت وسكنت ، قال الله عز وجل (كلما خبت زدناهم سعيرا) وعنت : عرضت ، ومنه قول امرئ القيس :
فمن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار فى ملاء مذيل

تسب : توقد . يقول إن هذا السحاب يصاحبه رعد وبرق دائم كثير ، فإذا خبت البروق تعرضت لها ريح الصبا فأرقدت ما خبا من هذه البروق ، يريد أنه دائم المطر دائم الومض لا تكف سماؤه عن المطول ولا يعود عن البروق

وإن وَّنت رُعُودُهُ حَدا بها راعى الجنوبِ خَدَّت كما حَدا^(١)
 كانَّ فى أحضانه وبَرَكه بَرَ كَأَتَداعى بينَ سَجَرٍ وَوَحى^(٢)
 لَمْ تَرَ كالمُزَن سَواماً بَها تَحسِبُها مَرعىَّةً وَهى سُدَى^(٣)

(١) وإن وَّنت : أى ضعفت وفترت ومنه قول الله جل ذكره (ولا تنبأ فى ذكرى) أى لا تضعفا ولا تفترا . وحدا بها : أى ساقها بالحداء وهو صوت السائق الذى يسوق الأبل الحادى سائق الأبل يرفع صوته وراءها بالغناء ، والراعى الذى يرعى الأبل أى يحفظها . وسمى راعى الجنوب : لأنه هو الذى يوالها ويرعاها بما تحتاجه والجنوب : الريح القبلىة . خَدَّت : ساقَت كما حَدا : كما ساق . يقول إن الصبا وهى رياح الشرق والجنوب وهى الرياح القبلىة يعاونان هذه السحب فالصبا تديم بروفه إن خبا وميضها ، والجنوب تتابع رعوده وتحدو بها إذا وَّنت عن الزئير وإنما صوت رعود هذه السحب كحداء الأبل هذه تتبع حداء الراعى وتلك تتبع حداء رياح الجنوب التى ترعاها أو أن هذه السحب تتبع سائقها .

(٢) كانَّ فى أحضانه . أى فى أحضان هذا الأفق فالضمير فى أحضانه عائد على الأفق . وإن شئت كان عائدآ على السحاب وهو أحسن ، وأحضانه نواحيه من أطرافه . والبرك الأول : الصدر . والبرك الثانى : الأبل . وتَداعى : أى تتداعى فخذف لإحدى التامين والتداعى هو أن يدعو بعضها بعضا . والسجر : الحنين ، والحنين طرب الناقة إلى ولدها وهو صوت شجى ، يقال حنت تحن حنيناً . والوحى : الصوت . يقول كأن هذه السحب المرعدة تضم بين نواحيها أو أعجازها وصدورها لبلا يدهو بعضها بعضا بأصوات عذبة مشجية تشبه أصوات الأبل عند الحنين وإنما هذا وصف للرعد وتشبيهه له بحنين الأبل وأصواتها .

(٣) المزن : السحاب . السوام : الأبل الراهية ، والمسيم : الراعى للأبل

تَقُولُ لِلْأَجْرَازِ لَمَّا اسْتَوْسَقَتْ بِسَوْقِهِ ثَقِي بَرِيٍّ وَحِيَاً^(١)
فَأَوْسَعَ الْأَحْدَابَ سَيْبًا مُحْسِبًا وَطَبَّقَ الْبُطْنَانَ بِالْمَاءِ الرَّوِيِّ^(٢)

السَّائِمَةُ يُقَالُ أَسَامُ الْإِبِلِ يَسِيمُهَا إِسَامَةً وَسَوْمًا ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (فِيهِ تَسِيمُونَ) أَيْ
تَرْعُونَ إِبَالَكُمْ . وَالْبَهْلُ : الَّتِي لَمْ تَحْلُبْ فَتَرَكْتَ ضَرْعَهَا مَلَأَى مِنْ أَلْبَانِهَا ، وَقِيلَ
الْبَهْلُ الْمَتْرُوكَةُ بِغَيْرِ رَاعٍ . وَتَحْسِبُهَا مَرْعِيَّةٌ : أَيْ مَحْرُوسَةٌ . وَالسَّدَى : الْمَهْمَلَةُ الَّتِي
لَا رَاعِيَ لَهَا ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سَدًى) وَيُرْوَى
سَوَامًا مَهْمَلًا أَيْ مَتْرُوكَةً ، وَكَانَتْ الْحِكْمَةُ تَقْتَضِيهِ أَنْ يَعْكَسَ فَيَقُولَ تَحْسِبُهَا
سَدًى وَهِيَ مَرْعِيَّةٌ لِأَنَّ الْمَسِيرَ لِلَسَّحَابِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى . يَقُولُ : لَمْ أَرِ شَيْئًا
مِثْلَ السَّحَبِ أَقْرَبَ إِلَى الْإِبِلِ السَّائِمَةِ الْمَمْتَلِئَةِ ضَرْعَهَا بِاللَّبَنِ تَرَكْتَ
بَلَا رَاعٍ وَأَنْتَ تَظُنُّ أَنَّ لَهَا رَاعِيًا يَصْرِفُهَا وَيَحْسُنُ خِدْمَتَهَا وَالْقِيَامَ عَلَى أَمْرِهَا
وَالْحَقُّ أَنَّهَا مَهْمَلَةٌ .

(١) الْأَجْرَازُ : جَمْعُ جَرَزٍ وَهِيَ الْأَرْضُ الصَّلْبَةُ الَّتِي لَمْ يَصْبِهَا الْمَطَرُ ، وَقِيلَ
هِيَ الْأَرْضُ الْمَشَقَّةُ الَّتِي لَا تَسْكَدُ تَرْوَى مِنَ الْمَاءِ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (أَوْ لَمْ
يُرَوْا أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ) وَجَمْعُهُ أَجْرَازٌ . وَاسْتَوْسَقَتْ : أَيْ
حَمَلَتْ مَا يَكْفِيهَا مِنَ الْمَاءِ ، وَالْوَسَقُ : الْجَمْعُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَاللَّيْلُ وَمَا وَسَقَ)
أَيْ وَمَا جَمَعَ مِنْ ظِلْمَتِهِ ، قَوْلُهُ ثَقِي بَرِيٍّ : أَيْ أَطْمَئِنِّي بَرِيٍّ أَيْ بِشَبْعٍ مِنَ الْمَاءِ
يُقَالُ شَرِبْتُ حَتَّى رَوَيْتَ . وَقَوْلُهُ وَحِيَاً : أَيْ خَصْبٌ وَهُوَ مَقْصُورٌ

(٢) الْأَحْدَابُ : جَمْعُ حَدَبٍ وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ وَغُلْظٌ ، قَالَ اللَّهُ
سَبْعَانَهُ (وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسُلُونَ) . وَالسَّيْبُ : الْعَطَاءُ . وَالْمُحْسِبُ : الْكَافِي
مِنْ قَوْلِكَ حَسِبْنَا اللَّهَ أَيْ كَافَيْنَا اللَّهَ . وَطَبَّقَ : غَطَى وَسَتَرَ ، وَالْبُطْنَانُ : جَمْعُ بَطْنٍ
وَهُوَ الْغَامِضُ مِنَ الْأَرْضِ . وَالرَّوِيُّ : الْمَاءُ الْكَثِيرُ إِذَا كَسَرَ قَصْرَ وَإِذَا فَتَحَ مَدَّ
يَقُولُ : إِنَّ هَذَا السَّحَابَ الْكَافِيَ الْغَزِيرَ أَصَابَ الْمُرْتَفَعَاتِ وَعَمَّهَا وَمَلَأَ
الْمُنْخَفِضَاتِ وَأَرَوَاهَا بِالْمَاءِ الْوَفِيرِ الْكَثِيرِ الْمَشْبَعِ .

كَأَنَّمَا الْبَيْدَاءُ غِيبٌ صَوْبِهِ بِحَرٍّ طَلَمَا تَيَّارُهُ ثُمَّ سَجَا^(١)
 ذَاكَ الْجَدَا لَا زَالَ مَخْصُوصًا بِهِ
 قَوْمٌ هُمُ لِلْأَرْضِ غَيْثٌ وَجَدَا^(٢)
 كَسْتُ إِذَا مَا بَهْظَتْنِي غَمْرَةٌ مِمَّنْ يَقُولُ بُلْغَ السَّيْلِ الزُّبَى^(٣)

- (١) البیداء : القفر وهى الصحراء أيضا ، سميت بیداء لأنها تبید سالکها .
 وغیب صوبه : تغیب مطره وانتصب غیب على الظرف وهو من ظروف الزمان
 والصوب : نزول المطر . وطما : ارتفع تیار موجه . وسجا : سكن قال الله تعالى
 (واللیل إذا سجدی) أى سكن . يقول لأنه لم یترك مكانا دون أن یصیبه بالمطر
 حتى الصحارى البیداء فانها أصبحت بعد أن زارها المطر ووافاها غدة كبحر
 لجلی ترتفع أمواجه تارة ثم تسكن تارة أخرى
- (٢) الجدأ : النائل والعطاء ، أو المطر العام الذى یغاث به الناس والدواب
 والأنعام . يقول إن هذا الجود الذى نحسبه مختصا بالمطر ، لا یزال إلى الآن
 قوم مختصین به ، جعلهم الله سبحانه غیرت الأرض وغناها ومفرجى کرباتها
- (٣) بهظتی : شقت على . يقال بهظتی الأمر أى شق على والغمرة الکربة
 والشدة وهى واحدة الغمرات . والزبى : جمع زبیه وهى حفرة تحفر للأسد فى
 المكان للعالی من الأرض وليس یبلغها إلا سیل عظیم ، وهو مثل تضربه
 العرب إذا اشتد بأحدهم الأمر ، وروى بالراء ، وهو جمع ربوة ، والربوة
 ما ارتفع من الأرض . وفى الحديث أن عثمان بن عفان رضى الله عنه : لما عین
 القتل وأیقن به كتب إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه . أما بعد یا أبا
 الحسن فقد بلغ السیل الزبى ، وجاوز الحزام الطبیین فاذا أناک کتاب فأقبل
 إلى ، على كنت أم لى ، ثم تمثل ببیت المثنى العبدى وهو :
 فان كنت ما کولافکن خیر آکل وإلا فأدرکنى ولما أمزق

وَإِنْ تَوَتَّعْتَ تَحْتَ مُسْلُوِي زَفْرَةٍ

تَمْلَأُ مَا بَيْنَ الرَّجَا إِلَى الرَّجَا^١

نَهْنَهْتُهُمَا مَكْظُومَةً حَتَّى يَرَى مُخَضَّو ضِعَامِهَا الَّذِي كَانَ طَفِي^٢

وَلَا أَقُولُ إِنْ عَرَّتْنِي نَكْبَةٌ

قَوْلَ الْقَنُوطِ ائْتَمَدَّ فِي الْبَطْنِ السَّلَا^٣

وهذا تخلص منه ودخول إلى موضوع آخر هو التحدث عن صبره وجلده وأنه لا يستعظم الحوادث . يقول إنني إذا ماشق على الأمر العظيم وأذنتي المكرب والشدائد لا أزعم أن هذه الشدة أو الكربة هي أشد الأنواع بلاء ، بل لا أفرق منها ولا أخافها ، وأستهين بها . وبشدتها وألزم الصبر على المكاره . (١) ثوت : أى أقامت . والزفرة : والزفير ترجيع الصوت بالبكاء . وهو أن يمتلئ القلب هما وغما ، والرجا مقصور الجانب .

يقول حالي أننى إذا ملأت جنبات قلبي الهموم والغموم وعمت أرجاءه وأقطاره ، جميعا فأننى قادر على تصريفها وتفريجها بحكمى الآتية :

(٢) نهتهتها : أى كفكفتها وزجرتها . ومكظومة : أى متجرفة من قولهم كظم غيظه إذا رده وحسبه . قال الله عز وجل (والكاظمين الغيظ) . والمخضوضع : المتذلل من الخضوع وهو الذلة . وطفى : كثر قال الله تعالى (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) أى فى السفينة وسميت جارية باسم فعلها لأنها جرت وقيل طفى : تكبر وهو المناسب للمخضوضع .

يقول : إننى أزجر هذا الزفرات وأرغمها على الابتعاد منى حتى أن الهم العظيم الجارف والغم الطاغى المستبد يرى مستذلا خاضعا لا يؤثر فى شيئنا ولا يذهب بصبرى أو يغير شيئنا من طبيعتى .

(٣) عرتنى : واعترتنى واحد ، أى أصابتنى ، قال الله عز وجل (إن

قد مارست مني الخطوب مارساً يساور الهول إذا الهول عللاً^(١)
لي التواء إن معادي التوى ولي استواء إن موالي استوى^(٢)

نقول (إلا أعتراك بعض آلهتنا بسوء) والنكبة : المصيبة وجمعها نكبات .
والقنوط : اليأس قال الله تعالى (لا تقنطوا من روح الله) أى لا تيأسوا .
وانقد : أى انقطع . والسلا : بفتح السين المشيمة التى تتعلق بالولد وتسقط
معه وهذا مثل تقول العرب إذا بلغ أحدهم فى الكرب غاية قال انقد فى
البطن السلا ، والسلا إذا انقد فى بطن المرأة هلسكت .

يقول : إننى كثير الاحتمال للنوائب التى تصيبنى لا أشكر ولا أقنط فأقول مقالة
اليأس الذى يصيبه مصيبة فيقول انقد السلا فى بطنى جزعاً وفرقاً من الهلاك

(١) قد مارست : أى عاركت وضاربت . والخطوب : الأمور الشدائد
واحدها خطب . والمارس : الشديد وهو صفة ولعلها محرفة عن فارس فان
المارس لم يرد بهذه الصيغة . ويساور الهول : يغالبه ويطارله ويلاصقه ، قال
الشاعر :

فبت كائن ساورتنى ضئيلة من الوقش فى أنيابها السم نافع
والهول : الشدة وجمعه أهوال . وعلا : ارتفع .

يقول : إن الخطوب والأحداث عركتنى وعجمتنى فوجدتنى صلب العود
فارساً شجاعاً لا يتطرق اليأس إلى عزيمته ، ولا يعرف الخور والضعف سيلاً
إلى قلبه ، يتلقى الأهوال الفادحة بثبات ويغالبها ويغلبها ، وإن الخطوب
لتعرف ذلك فى ، لكثرة ما جربتني .

(٢) لى التواء : أى انعواج . والمعادى : العدو . والموالى : الصديق الذى
يوالیه أى يصادقه . واستوى : اعتدل .

يقول : إننى أعامل الناس بالطرائق التى تلائمهم والى يعاملوننى بها . فأعوج
مع أعدائى وأقسو عليهم ، وأعتدل مع موالى وأصدقائى وألين لهم .

طَعْمِي شَرِيٍّ لِّلْمَدْوِّ تَارَةً
وَالرَّاحُ وَالْأَرْنَى لِمَنْ وَدَّى ابْتِغَى^(١)
لَدَنْ^(٢) إِذَا لُوِيْنَتْ سَهْلٌ مَّعْطِطِي
أَلْوَى إِذَا خَوْشِنَتْ مَرْهُوبَ الشَّدَا^(٣)
يَعْتَصِمُ الْحَلْمُ بِجَنْبِي حَبْوَتِي
إِذَا رِيَّاحُ الطَّيِّشِ طَارَتْ بِالْحَبِي^(٤)

- (١) الطعم : المذاق . والشري الحنظل . وتارة : حيناً . والآري : العسل الأبيض . والراح : الخمر . والود : الوداد . والمودة : المحبة . وابتغى : طلب قال الله جل ذكره (فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) يقول : إن طعمي مر المذاق لأعدائي حين يرومون ضري والايقاع بي وهو كالراح والعسل للذين يبتغون ودي ويطلبون عطفى ومصافاتي .
- (٢) اللدن : اللين الرطب . ومعطى : أى رجوى . ولوينك : أخذت باللين وضده خوشنت : أى أخذت بالخشونة وهى الصعوبة . وألوى : شديد الخصومة . وخوشنت : مورعت . ومرهوب : مخوف ومنه قوله جل ذكره (لا أتم أشد رهبة فى صدورهم من الله) أى خوفاً . والشدا : الحدة مقصور وقيل الشدا : الأذى وكتابته بالآلف . يقول إننى لمن يلاينى منقاد له ومتابع وإذا غضبت منه فأنى مع النزول عن غضبى سهل الانعطاف ، أما إذا عوملت بخشونة فأنى أكون خصماً شديداً تخاف شدته وترهب .
- (٣) يعتصم : أى يتعلق ويتمسك . بجنبى : أى بناحيتى . والحبوة : شد الازار على الركبتين والظهر ولا يعرف الاحتباء إلا للعرب والهند ، يقال احتبى الرجل إذا اشتمل بردائه فى وسطه . وقيل الحبوة أيضاً أن يضم الانسان نفسه قاعدة بشوبه أو يده ، والحبي : جمع حبوة مثل كدية وكدى . والطيش : خفة العقل

لا يَطْبِينِي طَمَعٌ مُدَّاسٌ^١ إذا أُسْتِمَالَ طَمَعٌ أَوْ اِطَّيَّبِي^١
 وَقَدْ هَلَّتْ بِي رُتْبًا تَجَارِي^٢ أَشْفِينِ بِي مِنْهَا عَلَى سُبُلِ النَّهْيِ^٢
 إِنِ امْرُؤٌ خِيفَ لَا فِرَاطَ الْأَذَى^٣ لَمْ يُخْشَ مِنِّي تَرْقٍ وَلَا أَذَى^٣

يقال طاش السهم يطيش طيشا إذا خف ولم يقصد الغرض ومنه قول الشاعر
 لو كان لي قرن أناضله ما طاش عند حفيظة سهمي

يقول إنني أحلم جدا عند الأزمات التي تطير بالصواب وتقيم الناس وتقدمهم
 وتوقعهم في هرج ومرج حتى كأن الحلم يلزمني ويحاسبني جنبا إلى جنب

(١) لا يطبيني : أي لا يستميلني ويدعوني . والطمع : الحرص والرغبة .
 ومدنس : موصغ والدنس الوسخ . إذا استمال : قاد وجذب . يقول إذا برقت
 العيون للأموال ولعبت بالعقول الأطماع فأنني لأأميل إلى الطمع الشديد الأغراء
 لأن الطمع يدنس المروءة ويشين أصحاب الفضل .

(٢) قد علت : أي ارتفعت . ورتباً : منازل ودرجات وهي جمع رتبة .
 والتجارب : جمع تجربة وهي الاختبار ، تقول جربت الرجل إذا اخترته فهو
 مجرب أي مختبر . وأشفيني بي : أي أشرفني بي ، يقال أشفيت على الشيء إذا
 أشرفت عليه وانتهيت إلى طرف منه ، وقيل معنى أشفين بلغن بي الشفاء أي الغاية
 وقيل معنى أشفين بي : عرفني ، وكل هذه المعاني متقاربة والسبل : الطرق واحدها
 سبيل . والنهي : العقول قال الله تعالى (إن في ذلك لآيات لأولي النهي) يريد أنه
 جرب الأمور بتجارب كثيرة فارتفعت به إلى مراتب عالية ووقفت به عند
 الغايات التي يصبو إليها العقلاء . يقول : إن تجاربي للحياة واختباري للناس
 رفعتني عنهم وعلت بي إلى رتب سامية بلغت فيها نهايات سبل الرتب العالية
 (٣) الإفراط : أن يبلغ الأمر فوق حده ، والمبالغة في الشيء . وإن شئت
 قلعد الإفراط العجلة . والنزق : الخفة . يقول إن كان الناس يفرقون من شدة

مِنْ غَيْرِ مَا وَهَنٍ وَلَسَكُنِي أُمْرُو^١ أَصُونُ عَرِضًا لَمْ يُدَسَّسْهُ الطَّخَا^١
وَصُونُ عَرِضِ الْمَرْءِ أَنْ يَبْذُلَ مَا ضَنَّ بِهِ مِمَّا حَوَاهُ وَانْتَصَى^٢
وَالْحَمْدُ خَيْرُ مَا اتَّخَذْتُ عُدَّةً وَأَنْفَسُ الْأَذْخَارِ مِنْ بَعْدِ التَّقَى^٣

الايذا . ويخافون ، فانهم لا يخافون منى خفه وطيشا ولا يخشون أن ينالهم
أذى منى بادىء بدء فاني وان أكن مرهوب الجانب فلا أسى لمن لم يقصد
إسماقي ولا أبتديه بالشر من غير ضعف منى .

(١) الوهن : الضعف قال الله العزيز (إني وهن العظم منى) أى ضعف ولم
يدنس به : لم يوسخه . والطخا : العيب ويقال الحبل . أصون : أحفظ والصيانة
الحفظ ، والطخا ممدود فقصره . يقول إن عدم تعرضى لأذى الناس وعدم
خشيتهم الأذى منى ليس لضعف فى ولا خور ، ولسكنى أحافظ على شرفى
وعرضى المصون ،

(٢) الصرن : الحفظ . أن يبذل ما ضن به : أى يخل به ، وحواه : جمعه .
وإن شئت قلت حازه وملكه . وانتصى : اختار يقال انتصاه ينتصيه واجتباها يجتبيها
واعتماه يعتميه وفيه لغة أخرى اعتماه يعتماه قال الشاعر

أرى الموت يعتام السكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد
يقول : إن حفظ الأعراض وصيانتها لا يكون بغير الجود وبذل ما يحويه
ويملكه من كرائم المال المضمون بها - يصف نفسه بالسكرم والجود

(٣) اتخذت : أى اكتسبت . وعدة : عمدة . وأنفس : اعلا وأغلا وأرفع
والأذخار : جمع ذخرو وهو المرفوع يقال ذخرت الشيء أى رفعته وخباته ومنه
قولهم أنت ذخيرتى للدهر . والتقى : مخافة الله عز وجل . يقول إن حمد الناس
وشكرهم وثناهم عليك خير عدة ودريئة تتخذها لشدتك ولآخرتك وتتقى
بها عذاب الله وذلك أنفس ذخرك بعد تقوى الله سبحانه وتعالى

وكلُّ قرنٍ ناجمٌ في زمنٍ فهو شبيهُ زمنٍ فيه بدا^(١)
والناسُ كالنبتِ فمنهم رائقٌ غصُّ نضيرٍ عودُهُ مرُّ الجنى^(٢)

(١) يقول . كل قرن : أى كل أمة فالقرن بالفتح الأمة وناجم : مرتفع يقال نجم الشيء إذا طلع وارتفع . وقوله فهو شبيه زمن فيه بدا : أى كل أمة طلعت في زمان فتلك الأمة مشبهة للزمان الذى نجمت فيه أى نشأت فيه ، وهذا مأخوذ من الحديث الذى ورد الناس بأزمانهم أشبه منهم بأبائهم ، والقرن فى غير هذا الموضع الوقت من الزمان وزعم قوم أنه أربعون سنة وزعم قوم أنه ثمانون سنة وقال قوم هو مائة سنة ، واختار بعض أهل اللغة هذا لما جاء وصح فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم مسح يده على رأس غلام ثم قال له عش قرنا فعاش مائة سنة . وروى كل قرن بكسر القاف وهو النظير والتقدير وكل رجل نشأ فى زمان فهو شبيه بالزمان الذى نشأ فيه لأن الرفيع لا يرتفع الا فى الزمان الرفيع والساقط لا يرتفع الا فى الزمان الساقط ، وبدا : بغير همز ظهر . يقول إن أهل كل قرن وعصر يشبهون العصر الذى عاشوا فيه لأن الزمن يوصف بما عليه أهله من فساد أو صلاح . قال :

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا
(٢) النبت والنبات واحد وهو ما نبت أى خرج من الأرض فمنه . رائق أى معجب . والغص الطرى الأخضر الناعم . وكذلك النضير أيضا قال الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة) أى ناعمة . والجنى . ما اجتنى من الثمر أى قطف وهو مفتوح الجيم مقصور . يضرب للناس مثلا بالنبات وأنواعه ترى نوعا منه بهيجا غصنا نضيرا إذا ذقت طعمه وجدته مرا ويظهر هذا فى أنواع الورود فان زهرتها تكون نضيرة اللون مشرقة الحسن وشجرة الحنظل فان ثمرتها تسر العين بخضرتها وتعجبها باستدارتها مع شدةمرارتها .

ومنه ما تفتح العين فإن ذقت جناها أنساغ عذبا في اللها (١)
يقوم الشارخ من زيفانه فيستوى ما العاج منه وانحنى (٢)
والشيخ إن قومه من زيفه لم يقيم التثقيف منه ما التوى (٣)
كذلك الغصن يسير عطفه لدنا شديد غمزه إذا عسا (٤)

(١) يفتح العين : أى تركه كرها له وتعدوه إلى غيره . فإن ذقت جناها : أى ما احتنى منه . أنساغ : أى سهل بلعه ، عذبا : أى حلوا . واللها : بفتح اللام جمع لهاة وهى اللحم المتعلق بأصل الحنك ، واللها بالضم جمع لهوة وهى المال والعطية والأصل فى اللهوة بالضم ما يجعله الطاحن فى فم الرحى ليطحن الواحدة لهوة ولهية . أى ومن النبات نبات تزدريه عينك ولا يروك منظره ولا يعجبك شكله ليس له نضرة ولا حسن باهر ولكن طعمه جميل ، وهذا يتحقق فى العنب والفرصاد والشليك .

(٢) الشارخ : الشاب الحدث المستقبل للشباب ، وشرخ الشباب أوله زيفانه . بالزاي والغين ميله يقال زاغ الشيء إذا مال يزيع زيفا قال الله جل ذكره (وإذا زاغت الأبصار) أى مالت . وقوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وانعاج . انمطف . وانحنى : مثله . يقول إن التربية والتعليم لا يصلحان ويشمران إلا فى عهد الشبوية والحدانة .

(٣) قوله من زيفه : أى من ميله . لم يقيم . لم يعدل ولم يقوم . التثقيف . التكوين . وما التوى . أى ماتهوج . يقول إن التربية والتعليم فى زمن الشيخوخة لا تفيد ولا تنفع ولا تقيم المعوج وتصلح الزائغ .

(٤) كذلك الغصن : أى الفرع . ويسير : سهل . وعطفه : رده . واللدن : اللين . والغمزهنا : اللس باليدن ، والتقويم . وعسا . صلب ، ويروى عنا بتمام بنقطتين من فوق ومعناه أيضا صلب . رجع الى تشبيه الناس بالنبات فإن

مَنْ ظَلَمَ النَّاسَ تَحَامَمُوا ظُلْمَهُ وَعَزَّ عَنْهُمْ جَانِبَهُ وَاحْتَمَى^(١)
وَهُمْ إِنْ لَانَ لَهُمْ جَانِبُهُ أَظْلَمَ مِنْ حَيَاتِ أَنْبَاتِ السَّفَا^(٢)

الغصون المعوجة تكون سهلة الانعطاف والرجوع عن الميل وهي ناشئة غضة طرية فاذا صلبت واشتدت لم يمكن عطفها إلا بشدة .

(١) ظلم الناس : تعدى عليهم وأضر بهم وأصل الظلم وضع الشيء في غير محله ، وزعم قوم أن الظلم إنما هو أخذ الانسان ما ليس له ، ومنه قولهم مَنْ شابه أباه فما ظلم ، أى من كان على مثال أبيه في حليته أو قوله أو فعله فما تعدى الحق ولا أتى بظلم ، لأن الخروج عن الطبع ليس في قوته ولا استطاعته وهو إن أتى بظلم فانه ليس بملوم وإنما المعلوم أبوه الذى ورثه تلك الفعالات لما وضع الشبه فيما له ، وهذا يرجع إلى ما قلناه إنه وضع الشيء في غير موضعه ، لأنه إذا أخذ ما ليس له فقد وضع الشيء في غير موضعه . وقحاموا ظلمه : تباعدوا عنه وامتنعوا منه . وعز عنهم : امتنع عنهم ، والعزة القوة ، والشدة : ومنه قولهم إذا عز أخوك فمن ، ومنه قول الله عز وجل (وعزنى فى الخطاب) أى غلبنى فى الخطاب ، ونحوه قوله جل ذكره (ليخرجن الأعز منها الأذل) أى ليخرجن القوى منها الضعيف وجانبه : ناحيته . واحتمى : امتنع . يقول : إن الناس لا يترفعون عن الظلم ويتحامون عنه إلا اذا ظلمتهم ولا تصيح عزيزاً لديهم مرهوب الجانب الا اذا أخفتهم .

(٢) ولان : ضعف وسهل . والأنبات : التراب المستخرج من البئر ، يقال نبث ينبث إذا حفر وامم الفاعل ثابت ونبات مبالغة قال الشاعر :

يميل ويذرى تربها ويثيره إثارة نبات الهواجر خمس

أى مستخرج للتراب . والسفا : هنا التراب ، وهو ما تسفيه الريح أى يحمله وترمى به ، وقيل السفا تراب القبر ، والسفا فى غير هذا شك البهيم وشوك السفيل . يقول إن طبيعة الناس أنهم شديداً الظلم لمن لا ينهم وكانوا معاملته لهم بالحسنى وإنهم لى معاملتهم للين لأشد ظلماً من الحيات التى تسكن

عَبِيدُ ذِي الْمَالِ وَإِنْ لَمْ يَطْعَمُوا مِنْ غَمْرِهٖ فِي جَرَعَةٍ تَشْفِي الصَّدَى^(١)

الحفر والأماكن التربة ، إذ أن هذه الحيات لا تصادف شيئا تمر به إلا أصابته بسمها فمات . أقول إنني صادفت في مسكن لي كثير العفر والتراب شيئا من هذه الصلال ثعبانا أو حية حاولت قتله فاخفني وأنا أبحت عن هراوة أو مشبهها فلم يقر لي قرار خوفا على نفسي وصغاري ، ثم ذكرت قول العامة إنها لا تؤذى ما لم تؤذ ، فتركها فصرت بعد ذلك أحسن ديبها وأسمع صفيرها فأتركها وشأنها وهي لم تؤذي والحمد لله ولا أعلم ما الله فاعله ، ولولا مشكلة المساكن وعزتها في هذه السنين لتركت هذا البيت .

(١) الغمر : الماء الكثير الذي يغطي من دخله ، وهو ههنا العطاء ، يقال غمر أي واسع الخلق كثير العطاء . والجرعة : القليل من الماء مثل الحسوة . وتشفى تبرى . والصداء العطش وهو مصدر صدى يصدى صدى . يقول إن الناس يتبعون ذا الغنى كأنهم عبدان له وخول ، حتى ولو كان بخيلا ممسكا لا يرجى . من وراء ماله الكثير جرعة تروى صاديهم وتشفى ظامهم ، وإني وأيم الله رأيت بعض العلماء ليلتي هذه الأولى من رجب سنة ١٣٧٠ هجرية في حضرة فظ جاهل ولكنه غنى وهو مع ذلك بخيل شديد الإمساك يملك متجرا في أحسن بقعة من بقاع القاهرة دعيت إلى حضرته مرتين ما رأيته فيهما بل لحاة واحد من جلسائه ، ثم رأيته يتناول على العلماء منهم بلسانه ويبالغ في تسفيهم والخط من كرامتهم بجراح القول وبذيئه ، يقرأ القرآن فلا يساعده جهله على أدائه بدون لحن وهو مع عاميته يؤول في القرآن ويفسر معانيه وأبي أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لأنها سمجة في نظره ويقول أستعذ بالله (كذا) لحقتها على اللسان ولأن الله يقول فاستعذ بالله . أما أعوذ بالله في نظره فإنها مثل قل أعوذ . مد بوزو . في الخزانا . كل غدانا . من ورائنا . ولقد حاولت زجره فلم ينزجر ، وأردت تقويمه فازداد عوجا ، جلست وأنا أعجب منه وعجبي من هؤلاء العلماء أشد ، وإذا هذا النطاول اللساني يزيد إلى

وَمَنْ أَمْلَقَ أَغْدَاؤُهُ وَإِنْ شَارَكَهُمْ فِيمَا أَفَادَ وَحَوَى ^(١)
عَاجَتْ أَيْامِي وَمَا الْغَرُّ كَمَنْ تَأْزَرَ الدَّهْرُ عَلَيْهِ وَارْتَدَى ^(٢)
لَا يَرْفَعُ اللَّبُّ بِلَا جَدٍّ وَلَا بِمُحْطُوكِ الْجَهْلِ إِذَا الْجَدُّ عَلَا ^(٣)

تطاول بالامسا، فعند ذلك قلت للجاهلين سلاما، وخلت مجلسه جهنم عذابها كان غراما. فرحم الله ابن دريد فكأنما عنى علماء عصرنا هذا وناسه بهذا البيت. (١) أملك. افتقر والاملاق الفقر قال الله عز وجل (ولا تقتلوا أولادكم خفية إملاق) أى فقر ومنه رجل ملى أى فقير، وكذلك مخفق وصعلوك ومقتر ومصرم، والمصرم الذى ذهب لبله ورجل سبروت أيضا وامرأة سبروتة وسبريته وقوم سباريت وكذلك قرضوب وقرضاب أى فقراء. وأفاد. اكتسب يقال أفاد الرجل مالا اذا كسبه. وحوى: ملك وجمع. يقول إن معاملة الناس للفقير المملق على النقيض من معاملتهم للفقير فهم يعادونه ويفرون من مساعدته وبجالاته. ولو تمسك بعرى الجود. وقاسمهم ماله يديه من كل موجود (٢) عاجت أياي. أى ماضفتها بقاله مضغق ومضغتها وعركتني وعركتها والغر: الذى لم يجرب الأمور. وتأزر. من الأزار كأنه يريد أنه جرب الدهر حلوه ومره فكأن الدهر تغلب عليه بأحواله حلوها ومرها. يقول اننى رجل مجرب ذقت حلوه الدهر ومره، وبلوت يسره وعسره. وصادفت خيره وشره. فأنا أعلم بدهرى وأيامه وصروفه وأحداثه لأن الدهر البسنى منها أثوابا وكسافى من أحداثه أزدية وما يستوى المجرب وغير المجرب. كما لا يستوى العالم وغير العالم. وهو إنما يفهمك أنه مجرب ليحملك على العمل بوصايا الآتية ويقنعك بضرورة تصديقها والافادة منها

(٣) لا يرفع اللب: هو من الرفة أى لاتعلو منزلته، ويروى لا ينفع من النفع الذى هو ضد الضر، واللب: العقل وجمعه ألباب، والجد: بالفتح الحظ

مَنْ لَمْ يَعِظْهُ الدَّهْرُ لَمْ يَنْفَعَهُ مَا رَاحَ بِهِ الْوَاعِظُ يَوْمًا أَوْ غَدًا^١
 مَنْ لَمْ تُفِدْهُ عِبْرًا أَيَّامُهُ كَانَ الْعَمَى أَوْلَى بِهِ مِنَ الْهُدَى^٢
 مَنْ قَاسَ مَا لَمْ يَرَهُ بِمَا يَرَى أَرَاهُ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ مَا نَأَى^٣

والبخت . ولا يحطك الجهل : أى لا ينزلك ولا يسفلك ، ويروى ولا يحبطك
 الجهل أى لا يبطل حظك ولا يسقط رفعتك ، ومنه قوله جل ذكره (وأحبط
 أعمالهم) أى أبطلها . إذا الجحد علا : أى إذا السعد ارتفع . يقول إن الجحد هو
 الحظ والنصيب هو المعول عليه فى كل ما يصيبك من خير أو شر فإن كنت لبيبا
 فإنك إن تدرك الشأو الذى ترومه إذا لم يصحبك الجحد . وإن كنت جاهلا خاملا
 ورائك حظك ارتفع ذكرك ونبه أمرك وعلا صيتك ولله درالشاعر إذ يقول

لا تطلبن بألة لك رتبة قلم البليغ بغير جحد مغزل
 سكر السما كان السماء كلاهما هذا له ربح وهذا أعزل

يريد السماك الراح والسماك الأعزل وهما منزلتان فى السماء من منازل القمر فإن
 كلا من السماكين سكن السماء ولم ترفع الراح آله ولا ربحه ولم يخفض الأعزل
 كونه بلا ربح فقد بلغا هذه المنزلة بحظهما لا بألهما .

(١) من لم يعظه الدهر : أى من لم يبصره . وراح : أقى بالعشى . واغتدى :
 أقى بالغدو . يقول إن مواعظ الواعظين التى يكررونها على الأسماع ليل نهار
 وصباح مساء وغدوة وعشيا لا تنفع الناس شيئا ولا يجملهم يفيدون منها بخلاف
 موعظة الدهر وتعاليمه فإنها أثبت وأنجح وأفعل فى النفوس

(٢) من لم تفده : أى تكسبه مأخوذ من أفاد يفيد إذا أكسب . والعبر :
 جمع عبرة وهى التذكرة . والععى : هنا ععى القلب وهو انطاس ذكائه . والهدى
 القصد إلى الصواب . يقول إذا كانت الايام الممتلئة بالعبر والحوادث البليغة
 لا تفيد رؤيتها الشخص ، فلا قيمة لعينيه اللتين يرى بهما الحادثات والفاجعات
 ولا لقلبه وسمعه وإذا لم يتقدم للخير بها ويسترشد فانه سيزداد ضلالا .

(٣) : قاس . من مثل ، والقياس فى اللغة التمثيل ، وحده عند الأصوليين

مَنْ مَلَكَ الْحِرْصَ الْقِيَادَ لَمْ يَزَلْ يَكْرَعُ فِي مَاءٍ مِنَ الدَّلِّ صَرَى^(١)
مَنْ عَارِضَ الْأَطْمَاعَ بِالْيَأْسِ رَنْتَ^(٢) إِلَيْهِ عَيْنُ الْعِزِّ مِنْ حَيْثُ رَنَا^(٣)

حمل أحد المعلومين على الآخر بمعنى يجمع بينهما ، وقيل : رد فرع الى أصل في بعض الأحكام بمعنى يجمع بينهما ، وقيل رد الشيء في الحوادث إلى نظيره وأصله الذي يقاس عليه . ويدنو : يقرب . وما نأى . ما بعد يقال أى ينأى نأياً . يقول : من كان عاقلاً عارفاً بالأمور تبين له ما غاب عنه بما ظهر له بقياس عقله وحسن رأيه وأدبه يقول إن العاقل يجب أن يقيس الغائب بالحاضر والنائي بالقريب والحاضر بالماضي فإذا صنع الإنسان ذلك انكشف لقلبه وعينه المغيبات وشهد ما لم يقع قبل وقرعه فتلافي الشر ونجا منه ولم يقع فريسة البلاء والمحن

(١) الحرص الاجتهاد في طلب كل مرغوب فيه مع كثرة الموانع منه ، يقال حرص يحرص فهو حريص . والقياد . الطاعة من قرأ ذلك قدت الدابة فانقادت لى أى أطاعتنى . ويكرع : يخوض أو يشرب . والماء الدائم الذى قد طال مكثه فتغير فيه ، والصرى من اللبن أيضاً ما طال مكثه في الضرع ولم يحلب ، والصرى جمع والواحدة صرارة يقال شاة مصرارة إذا حلبت كل ثلاثة أيام حلبية ، وحكى الفراء صرت الناقة وصريت لغتان فعت وفعلت وأصل التصرية الجمع . يقول إذا جعل الإنسان للحرص عليه سلطاناً وصير نفسه للطمع ميداناً وأسلس له القياد فإنه يمشى ما عاش مهاناً ذليلاً يتجرع مرارة الهوان والذلة قال : تعالى الله يا سلم بن عمرو يدق الحرص أعناق الرجال

(٢) الأطماع : جمع طمع . واليأس : انقطاع الرجاء . ورنـت : نظرت والمراد بعين العز العز نفسه . يقول فأما الذى يحمل نفسه على الزهد والغنى عما في الأيدي من حطام هذه الدنيا ولا يطمع في شيء منها فإنه يكون بمحل منيع ومركز رفيع ومكان سام مرتفع لا يرام تنظر إلى عليائه عيون العز يريد أن من لم يطمع في الدنيا طمع العز فيه وتعلق به ورنى بنظره اليه وتطلع إلى أن يكسوه بأثوابه ويعشيه بأرديته

مَنْ عَطَفَ النَّفْسَ عَلَى مَكْرُوهٍهَا كَانَ الْغِنَى قَرِينَهُ حَيْثُ انْتَوَى^(١)
مَنْ لَمْ يَتَّقْ عِنْدَ انْتِهَاءِ قَدْرِهِ تَقَاصَرَتْ عَنْهُ فَسِيحَاتُ الْخُطَا^(٢)
مَنْ ضَيَّعَ الْحَزْمَ جَنَى لِنَفْسِهِ نَدَامَةً أُلْذِعُ مِنْ سَفْعِ الذُّكَا^(٣)

(١) عطف: أمال ورد . وكان الغنى قرينه : أى صاحبه . وحيث انتوى : حيث بعد ، وهو من النوى أى البعد ، جاء على بناء افعل . يقول إن من ألزم نفسه الرضا بما يصيبه مع كراهته وغضاضته أصبح غنيا يرافقه الغنى أى سار وحط رحاله . فان الرضا هو السعادة وهو أبلغ الغنى .

(٢) انتهاء قدره : غاية قدره . وتقاصرت : قصرت . وفسيحات : واسعات . فسيحة أى واسعة . والخطا : جمع خطوة ، وكتابتها بالالف لأنه يرجع إلى الواو فى قولك خطوات فى الجمع وخطوت إذا رددت الفعل إلى نفسك ويخطو فى المستقبل . وهذا البيت مرتب على الآيات السابقة فهو يقول إذا سمع الانعمان لأمانيه وآماله أن تمتد وتتجاوز مقدار حاجته منها أكد نفسه وأتمها وجرى فى ميدان الشقاء والتعب فهما سعى وكد وتعب فان آماله ان تتحقق لأن خطاه على سعتها ستقصر عن نيل غاياته

(٣) ضيع : ترك . والمضيع التارك ، والحزم : الاحتراس فى الأفعال والاستعداد للأمور قبل وقوعها . وجنى لنفسه ندامة : أى قادها إليها كما يجنى الثمرة أى يجمعها ويقطعها ، ويجوز أن يكون جنى بمعنى جر على نفسه ندامة فتكون اللام فى نفسه بمعنى على ، وندامة . حسرة وتأسفا . وألذع : أشد حرقا والسفع : الاحراق . والذكا : التهاب النار مقصور يكتب بالالف لأنه من ذوات الواو ، يقال ذكت النار تذكو ذكوا ، وأما الذكا . من الفهم فمدود ، وكذلك الذكا . بمعنى السن من العمر

والذكا . مضموم الاول بمدوده اسم الشمس ، ويقال لصبح ابن ذكا . وهو غير مصروف لعلتين التأنيث والتعريف قال الراجز

مَنْ نَاطَ بِالْمُعْجَبِ عُرِيَ أَخْلَاقَهُ نَيْطَتْ عُرَى الْمَقْتِ إِلَى تِلْكَ الْعُرَى^١
مَنْ طَالَ فَوْقَ مُنْتَهَى بَسْطَتِهِ أَعْجَزَهُ نَيْلُ الدُّنَا بِلَهِّ الْقُصَا^٢

ورده قبل انفلاج الفجر وابن ذكاء كامن في كفر
يعنى أن الصبح كامن في سواد الليل لأن الكفر في اللغة التغطية فكان
سواد الليل كفر الصبح أى غطاه. يقول : عليك بالحزم في أمورك كلها فلا تفعل
شيئا دون ترو ولا تفكر لئلا يكون عاقبة أمرك الندم الشديد المرير اللاذع
البالغ في شدة لذعه شدة لذع النار وإحراقها .

(١) ناط : علق وألصق ، يقال : ناط فلان الشيء يفرطه نوطا فهو
فائط والشيء منوط أى معلق ، والنياط عرق غليظ علق به القلب وجمعه
أنوطه فترد الياء إلى الواو لأنها في النياطة مبدلة من واو ، وعري : جمع عروة
وهو ما يتمسك به أى يتعلق به . وأخلاقه : طبائعه ، ونيطت : علقت ، والمقت :
أشد البغض يقال فلان مقيت ومقوت ، يقول من ألزم العجب نفسه وجعله
طبيعة له قرن ذلك العجب بشدة البغض له . يقول إنك إذا أعجبت بنفسك
وأعمالك وتعاليت بذلك على الناس لازمك المقت منهم والازدراء وكرهوك فإن
المقت والكره مصاحب للعجب والتعالى .

(٢) طال : ارتفع . والبسطة الفضلة يفضل بها الإنسان على غيره ومنه
قول الله تبارك وتعالى (وزاده بسطة في العلم والجسم) . وأعجزه نيل
الدنى : أى أضعفه وقصر به وقيل قاته . والنيل : الإدراك . والدنى جمع الدنيا
وهو الشيء القريب . والقصا : جمع القصوى وهو الشيء البعيد ، قال الله جل
ذكره (إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى) وبله : بمعنى غير ، وقيل
بمعنى دع ، وفي الحديث « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه ، يريد غير ما اطلعتم عليه ،
فإذا كانت بمعنى غير كان ما بعدها مخفوضا على الإضافة ، وإذا كانت بمعنى دع

مَنْ رَامَ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ طَوْقُهُ مِ الْمَسْبُوعِ يَوْمًا آخِ مَجْزُولِ الْمَطَا^(١)
وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمْ كَوَاحِدٍ وَوَاحِدٌ كَأَلْفٍ إِنْ أَمَرْتُ عَنْيَ^(٢)

كان ما بعدها منصوبا مفعولا بيله لأنها تضمنت معنى دع كما تقول دع زيدا
وأنشد النحويون قول الشاعر

تذر الجاحم ضاحيا هاماتها بله الأكف كأنها لم تخلق

معناه تفعل هذا في الجاحم فضلا عن الأكف فانها تتركها كأنها لم تخلق أو
غير الأكف وكذلك يقول ابن دريد رحمه الله من طال إلى ما فوق قدره أعجزه
فيل الدني وهي الأمور القريبة بله القصا فانك لا تدركها إذا لم تدرك القريب .
يقول : إن لك أيها الانسان حداً تنتهى إليه فإذا رمت أن تعلو عنه
عجزت عن تجاوز القليل الداني فضلا عن القصي العالی

(١) رام : طالب . وما يعجز : أى ما يقصر عنه . وطوقه : طاقته
يقال طاقه وطوق بمعنى القوة . قال يزيد بن معاوية بن أبي سفيان رضى الله
عنهما لما حضره الموت

إن تعذب يكن عذابك يارب غراما لا طوق لى بالعذاب
أو تجاوز فأنت رب عفو عن مسمى ذنوبه كالتراب

والطوق أيضا فى غير هذا حلى يعمل فى العنق وكل شيء استدار فهو
طوق . وقوله ملعب : أصله من اللعب فجذف النون والالف ووصل
الكلام ، واللعب : الثقل ، وجمعه ألعاب . وآض : رجع . والمجزول :
المقطوع وأجزلة من اللحم القطعة منه ، والمطا : الظهر . يقول إنك إذا
حاولت إدراك ما تنوء به قوتك ولا يحمله عبئك وطاقتك فإن حالك
تؤول إلى المعجز من بلوغ أربه ، والتقصير عن إدراك طلبه ، فباحقه الكلال
والنصب كمن قطع ظهره ، وفى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم : إن الميت لا أرضاً قطع ولا ظهرأ أبقى .

(٢) إن أمر عنى . أى قصد ، وقد يكون من العناء وهي المشقة ، ويقال

وَلَقَدْ قَتَلْتُ مِنْ مَالِهِ مَا قَدَّمْتُ يَدَاهُ قَبْلَ مَوْتِهِ لَا مَا أَقْتَنِي^(١)
وَلَا نَمَّا الْمَرْءَ حَدِيثٌ بَعْدَهُ فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى^(٢)
لِي حَلَبْتُ الدَّهْرَ شَطْرِيهِ فَقَدْ
أَمَرٌ لِي حِينًا وَأَحْيَانًا حَلَا^(٣)

أيضاً عناني الأمر إذا لزمني ، يقول إن الناس عند الأزمات والكروب لا تغني كثرتهم ولا تنال مساعدتهم ولا يرجي عونهم فألب منهم كواحد ، وصدر هذا البيت معنى حديث « الناس كإبل مائه لا تجد فيها راحلة »
(١) اقتنى : اكتسب ، وقيل ادخر قال الله عز وجل (وأنه هو أغنى وأقنى) أي أعطى ما يدخر . يقول في الحنص على بذل المال والجود والنهي عن اكتنازه وتصغير شأنه . إن الإنسان إذا مات لم ينفعه ماله الذي جمعه ولا يغني عنه شيئاً في الحساب وإنما ينفعه ما تصدق به وتقرب به إلى الله عز وجل وابقى به النار . وفي هذا المعنى ورد الحديث القدسي « يا ابن آدم ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت وما سوى ذلك فوزره عليك » .

(٢) لمن وعى : أي حفظ يقال وعى وعياً قال الله عز وجل « وتعيها أذن واعية » ويقال وعى جمع وبهذا فسرت الآية . يقول في الحديث على عمل الخير وتخليد الذكر الحسن إن الإنسان صورته وهيكله سيذهب بالموت وتبقى أعماله أحاديث تنطق بالذي صنعه من خير أو شر . هو يقنى ويعود تراها والسكن ذكره سيبقي في أفواه الناس تجرى به السمتهم فإن كان خيراً صالحاً ذكره بالخير وترحموا عليه وإن كان شريراً طالحاً ذكره بشر ولعنوه .
(٣) حلبت الدهر : أي جربته . وشطراه : نصفاه . وهذا مثل ، أو أراد بشطريه أول زمانه وآخره أو نعيمه وبؤسه فلذلك ثناه تقول شطرت الشيء إذا جعلته نصفين فهذا صرف منه فعل ، وأما الشطر الذي هو القصد فلا

وَفَرٌّ عَنْ تَجْرِبَةِ نَابِي فَقُلْ فِي بَازِلٍ رَاضٍ الْخُطُوبَ وَامْتَطِي^(١)
وَالنَّاسُ الْمَوْتَ خَلَا يَلْسَهُمْ^(٢) وَقُلْ مَا يَبْقَى عَلَى الْأَلْسِ الْخَلَا^(٣)
عَجِبْتُ مَنْ مُسْتَيْقِنٍ أَنْ الرُّدَى إِذَا أَتَاهُ لَا يَدَاوِي بِالرُّقَى^(٤)

يستعمل منه فعل قال الله عز وجل : قول وجهك شطر المسجد الحرام ، أى قصده وتلقاه . يقول إنه عرف الدهر ومرت به أحداثه وخطوبه وأفراحه وأتراحه وحلب شطرى الدهر وصرى ضربه قدر له المرحينا وحلا . حيناً وربما فهم من قوله أحيانا أن حلاوته كانت أكثر من مرارته وغضاضته وأن أيام سعادته تربو على أيام شقوته .

(١) وفر عن تجربة نابی : أى كشف عن أمرى وهذا مثل مأخوذ من قولهم فر عن الدابة إذا فتح لها ليصرف عنها وينظر صفرها من كبرها ، والنا ب : الضرس الذى على الرباعية ، وراض الخطوب : أذلها يقال رضت الفرس إذا ذلته والبازل من الابل الذى أتت عليه تسعة أهوام ، والخطوب : الأمور والنوازل واحداً خطب ، وامتنى : الدابة ركبا وجعلها مطية . يقول إننى مارسيت الأمور وبلوتها وعرفنى الزمن بتجاربه وعركنى وابتلانى ليجربنى فوجدنى صلياً كأننى بغير بازل قوى راض الخطوب وأذلها فهانت لديه وذلت صعاها وسيطر عليها (٢) الخلا : الحشيش الرطب . ويلسهم : يأكلهم ، واللس أن تأخذ الماشية الخلا الرطب بمقدم فيها يقال فى تصريفه لست الدابة الخلا تلسه لسا فهى لاسه إذا أخذته بمقدم فيها ، وهذا مثل مضروب للموت والناس . يقول إن الموت يرعى الناس ويفترسهم كما تأكل الدواب الحشيش الرطب وترعاه ، فكما أن الخلا لا يبقى على الرعى والآكل كذلك الناس لا يدومون مادام الموت يتعقبهم .

(٣) مستيقن : عالم . والردى : الهلاك قال الله عز وجل (واتبع هواه فردى) وتصريفه ردى يردى ردى . والرقي : جمع رقية وهى تلاوة أدعية أو آيات من القرآن للشفاء من العلة وهى جائزة شرعاً . يقول إننى أعجب بمن أيقن

وَهُوَ مِنَ الْعَفْلَةِ فِي أَهْوِيَةٍ كَخَابِطٍ بَيْنَ ظَلَامٍ وَعَشَا^١
نَحْنُ وَلَا كُفْرَانَ لِلَّهِ كَمَا قَدْ قِيلَ لِلْسَّارِبِ أَخْلَى فَأَرْتَمَى^٢

أن الرقية والسحر وما شابههما لا تدفع الموت عن نفسه ، ثم هو مع ذلك يسترقى يريد أن رقيه تنفي إيمانه وبقينه .

(١) الأهوية : الغامض من الأرض وهي الحفرة التي يضيق أعلاها ويتسع أسفلها . والخابط : الذي يمشى ليلا بغير مصباح فربما وقع في بئر أو سقط على شيء وهو لا يدري أين يجعل رجله فيطأ كل شيء وهو لا يراه . والعشا ضعف في البصر يقال رجل أعشى وامرأة عشواء . يقول إن يقين هذا المستيقن المسترقى ليس شيئا فاما أشبهه إلا بأعشى يخبط في ظلمات الليل خبط العشواء (٢) ولا كفران لله : أى ولا جحد لله والكفران والكفر واحد ،

وأصل الكفر النغطية . والستر : كفر فلان النعمة إذا عرفها وكتمها ويقال ليل كافر لأنه يستر بظلمته ، وسمى الزارع كافرا لأنه إذا ألقى البذر في الأرض كفره أى غطاه قال الله عز وجل : كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، والكفار هنا الزارع ، ويقال جاء فلان في ألف كافر يريد في ألف فارس من غطى عليه السلاح ، وسمى طلع النخل كافورا لاستتاره في أغطيته ، وأحسن ما قيل في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، أى لا يتكفر بعضكم لبعض في السلاح . والسارب : الظاهر بما له من الماشية وكل متصرف في حوائجه فهو سارب ، ومنه قول الله عز وجل : « ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » وقال الشاعر

وكل أناس قاربوا قيد خلمهم ونحن حللنا قيده فهو سارب

سارب : أى ذاهب . وأخلى : أى دخل في الخلا : وهو الخيش الرطب كما يقال أظلم إذا دخل في الظلام وأصبح إذا دخل في الصباح وأمس إذا دخل في المساء ، وقيل أخلى صار في خلوة والتقدير على هذا نحن كهذا السارب الذي ارتعى في خلوة . ورعى . يقول اتنا يعزب عنا اليقين مع إيماننا

إذا أحسَّ نَبَأَهُ رِيحَ وِانٍ تَطَامَنَّتْ عَنْهُ تَمَادِي وَلَهَا ^(١)
 كَشَلَّةٌ رِيَمَتْ لَيْثَ فَانَزَوَتْ حَتَّى إِذَا غَابَ اطْمَأَنَّتْ أَنْ مَضَى ^(٢)
 نَهَالَ الْأَمْرَ الَّذِي يَرُوعُنَا وَنَزَّأَنِي فِي غَفْلَةٍ إِذَا انْقَضَى ^(٣)
 إِنْ الشَّقَاءَ بِالشَّقِيِّ مُوَلِّعٌ لَا يَمْلِكُ الرَّدُّ لَهُ إِذَا أَتَى ^(٤)

بالله سبحانه وتعالى نحمد حينما الجادة ، ونغر بزهرة الدنيا وحالنا في ذلك
 حال السارب من الابل او الماشية تركت هملاً ووجدت مرعى ترعاه
 (١) أحس : علم . والنباة : الصوت الخفي ريع : فزع . واطمأنت :
 هدأت وسكنت ، وكذلك تطامننت . وتمادى : استمر ودام . ولها : غفل .
 يقول إنه لسيده على غير هدى عدم الأمان والقرار فهو مطمئن متماد في لهوه
 وغيه يرتاع لأقل الاصوات وأخفى الحركات (وهذا شرح البيت الذي قبله)

(٢) الثلة : بالفتح الجماعة من الغنم ، والثلة بالضم الجماعة من الناس قال الله
 تعالى : ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ، وريعت : فرعت ، وانزوت : انقبضت
 والليث : الأسد وجمعه ليوث . يشبه الناس بجماعة من الماشية ترعى مطمئنة مالم
 يروعها الليث ويخيفها فتزوى وتكف عن الرعى وتدخل إلى مرابطها .

(٣) نهال : نفزع والهلول الفزع . والروع أيضا الفزع . ويروعنا : يفزعنا
 وترتعى : ترعى ومنه قوله تعالى : ترتع وتلعب ، وفي غفلة : لركه النظر في
 ما له ، مع عجزه عما يفزعه . وانقضى : ذهب وفرغت مدته . يقول إننا ترتاع
 ونفزع عند ما نعرونا ملة فإذا صرف المهم وزالت السكرية عدنا إلى غفلتنا
 ونسينا ما كان من البلاء والشدة ولا نعتبر بما أصابنا

(٤) الشقاء : والشقوة واحد ، ومنه قوله عز وجل : قالوا ربنا غلبت
 علينا شقوتنا ، ويقرأ شقاوتنا . والمولع : المغرم بالشئ الملازم له لا يكاد
 يفارقه . لا يملك الرد له . أى لا يملك الدفع والصرف . يقول إننا أشقياء
 لأننا نخاف الشقاء فهو يولع بنا فتعجز عن دفعه كأنما يقول إننا إذا لم نخف

وَاللَّوْمُ لِلْحَرِّ مُقِيمٌ رَادِعٌ وَالْعَبْدُ لَا يَرُدُّعُهُ إِلَّا الْعَصَا^(١)
وَأَفَةُ الْعَقْلِ الْهَوَى فَمَنْ عَلَا عَلَى هَوَاهُ عَقْلُهُ فَقَدْ نَجَا^(٢)
كَمْ مِنْ أَخٍ مَسْخُوطَةٍ أَخْلَاقُهُ أَصْفِيَّتُهُ الْوُدَّ خُلُقٍ مَرَّتَضَى^(٣)

الشقاء ولم تتوقع حدوثه لم يقربنا ولم يعرف طريقنا بل إذا أتى إلينا استطعنا دفعه . وكذا الشقي يجلب لنفسه الشقاء ، وهذا كقولهم الناس من خوف الفقر في فقر .
(١) اللوم : بالفتح من الملامة وهو الذم والشم ، واللوم بالضم الشع ومهانة النفس ودناءة الآباء . والحر : الخالص من كل شيء . ومقيم : أى مصلح . ما كان فيه . ورادع : كاف يقال ردعته فارتدع أى كنفته فانكف ، والرداع وجع في الجسد قال الشاعر

فيا عجباً وعار دنى رداعى وكان فراق ليلى كالخداع
والرداع أيضا لطح الطيب وأثره في الجسد والرداع الغضب قال الشاعر
بركت على ماء الرداع كأنما بركت على قصب أجش مهضم
وقيل الرداع في هذا البيت اسم ماء بعينه يعرف به ذلك الموضع . والعبد لا يردعه إلا العصا . أى لا يردعه عن السوء إلا العصا . يقول إن الحر يستقيم من ميله ويصلح أمره ويعتدل عرجه بكلمة تقال له ، ولكن العبد لا يصلحه إلا الضرب والشدّة ،

(٢) وأفة العقل : مضرته ومفسدته . والهوى : الشهوة والارادة . فمن علا . أى فتن ارتفع عقله على هواء : أى على شهوته وإرادته ، فقد نجا : أى فقد سلم . يقول إن الهوى مفسد للعقل ويضر به لأن الهوى والعقل ضدان فإذا غلب سلطان الهوى على سلطان العقل فسد الأمر وهلك صاحبه أما إذا غلب سلطان العقل على سلطان الهوى نجا صاحبه من الهلاك

(٣) مسخوطة : من السخط وهو ضد الرضى فعنى مسخوطة غير مرضية وأخلاقه : طبائعه ، وأصفيته الود : أى أخلصت له الود ، ولخلق مر تضى : أى

إذا بَلَوْتَ السَّيْفَ مُحَمَّدًا فَلَا تَذُمَّهُ يَوْمًا أَنْ تَرَاهُ قَدْ نَبَأَ^(١)
وَالطَّرْفُ يَجْتَازُ الْمَدَى وَرُبَّمَا عَنْ لِمَعْدَاهُ عِثَارٌ فَكَبَا^(٢)
مَنْ لَكَ بِالْمُهَذَّبِ النَّدْبِ الَّذِي لَا يَجِدُ الْعَيْبَ إِلَيْهِ مُخْتَطِئًا^(٣)
إِذَا تَصَفَّحْتَ أُمُورَ النَّاسِ لَمْ تَلَفْ أَمْرًا آحَازَ الْكَمَالَ فَاسْتَفَى^(٤)

الحلة واحدة مرضية منه ، والمرضى : المستحسن ، يقول لاني كثيرا ما أصفي
ودي وأواخي أناسا لهم أعمال كثيرة شائنة وأخلاق ناپية غير فضلة ، ولكني
أجد فيهم خلة واحدة طيبة ترضيني فأحسن معاملتهم لأجلها

(١) بلوت اختبرت قال الله عز وجل : ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم
والصابرين ونبلو أخباركم ، أن تراه قد نبأ : وأن في موضع نصب لأنه مفعول
به ، وقيل هو مفعول من أجله والتقدير فلأذمه يوماً من أجل أن تراه قد نبأ أي
من أجل رؤيته ناپياً ، ونبا ارتفع عن المضروب ولم يقطع فيه شيئاً . يقول إن مثلي
مع هؤلاء كمثل صاحب السيف لا يذم إذا نبا ، فإن نبوته لعله ليست فيه ، وكذلك
هؤلاء الناس ، أغفر لهم سوء خلقهم وأعزوه إلى أمور خارجة عن طوقهم

(٢) الطرف : الكريم من الخيل . ويجتاز : أي يجوز ، والمدى : الغاية وعن :
عرض . ولمعداه : لعدوه ، وعدوه : جريه ، وعثار : مصدر يثر يعثر عثارا إذا
كبا ، وكبا : سقط لوجهه . يقول مثلي كذلك معهم كمثل راكب الفرس الكريم
ينبغي أن يذمه إذا عثر به أو كبا مادام لا يوصله إلى الغاية

(٣) المهذب : العاقل الظريف ، وقيل المهذب المخلص ، والندب : الرجل
الخفيف في الحاجة ، وقيل الندب الذي ينتدب للمكارم ، وقيل الندب المندوب
لكل حاجة حسن تصرفه فيها ، وقيل الندب الذي قد عرك الدهر فحسن أخلاقه
والمختطى : الممشى وهو من خطا يخطو إذا مشى . يقول إن الخلوص من كل
الشوائب والبراءة من العيوب والسلامة من المآخذ في الأصدقاء أمر لا سبيل إليه
(٤) التصفح : النظر في خلال الشيء ، ولم تلف : لم تجد ، وحاز : حوى .

عَوَّلَ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ إِنَّهُ
وَعَطَفَ النَّفْسَ عَلَى سَبِيلِ الْأَسَا
وَالدَّهْرُ يَكْبُو بِالْفَتَى وَتَارَةً
لَا تَعْجِبُنْ مِنْ هَالِكٍ كَيْفَ هَوَى
أَمْنَعُ مَا لَازَبَهُ أَوَّلُوا الْحِجَا^(١)
إِذَا اسْتَفْزَ الْقَلْبُ تَبْرِيحَ الْجَوَى^(٢)
يَنْهَضُهُ مِنْ مَثَرَةٍ إِذَا كَبَا^(٣)
بَلْ فَاَعْجَبِينَ مِنْ سَالِمٍ كَيْفَ نَجَا^(٤)

الكامل : التمام يقال أكملت الشيء إذا أتممته ، واكتفى : أى اجتزأ به تقول كفاك الشيء يكفينى أى أجزأنى . يقول إنك إذا استعرضت البشر وقرأت صفاتهم وأعمالهم وجدت قلوبهم امتلأت بالاطماع واستحوذ عليها الجشع حتى أن من بلغ من الكمال الخلق نهايته لا تقف مطامعه عند حد يرضى معه بما هو فيه لافرق بين عال ودون وأمير وحقير

(١) عول على الصبر : أى ارجع إليه واعتمد عليه ، أمنع : أى أحمى وأقوى ، ولاذ : لجأ وركن واستتر ، والحجبا : العقل وأولوا الحجبا : أولوا العقل يقول اتخذ الصبر الجميل صاحباً لك تعول عليه فى كل ما يحزب من شدة وهون فهو الحصن المانع والدرع الواقية التى يلوذ بها ذوو العقول السليمة
(٢) عطف النفس : ردها ، والسبيل : الطرق واحدها سبيل ، والأسا : التصبر إذا استفز : استخف ، والتبريح : الشدة . وجمعها تباريح ، والجوى : مقصور مفتوح الجيم فساد الجوف يكتب بالياء لأنه يقال جرى يحوى جوى ويروى تبريح الأسا والأسا بفتح الهمزة الحزن . يقول روض نفسك على التسلى بالصبر وعرفها طرقة وحببه إليها عند ما يعروك لم يستفزك ويشير أشجانك
(٣) يكبو : يعثر يقال كبا يكبو بمعنى عثر يعثر ، وتارة : أى مرة وحيناً ، وينهضه : يقيمه ، وإذا كبا : سقط وعثر والمصدر كبوة واسم الفاعل كاب .
يقول اصبر على المسكروه يصل بك صبرك إلى الأمر الحميد السار فان الدهر كفرس إن عثر بصاحبه مرة فانه ينهضه أخرى ويوصله إلى ما يحب
(٤) هوى : سقط يقال منه هوى يهوى هوياء ، ونجا : خلاص . يقول إن

إِنَّ نُجُومَ الْمَجْدِ أُمْسَتْ أَفْلاً وَظِلُّهُ الْقَالِصُ أَصْحَى قَدَازَى^(١)
إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَنْاسٍ بِهِمْ إِلَى سَبِيلِ الْمَكْرُمَاتِ يُقْتَدَى^(٢)
إِذَا الْأَحَادِيثُ انْتَضَتْ أَنْبَاءُهُمْ
كَانَتْ كَنْشَرُ الرُّوضِ غَادَاهُ السَّدَى^(٣)

المصائب والشُرور في الدنيا طبيعة فيها وهي غالبية على سرورها فلا يزيدك عجباً أن ترى إنساناً هلك بل اعجب أشد العجب للسالم الذي ينجو، وهل نجا إنسان من الهلاك منذ برأ الله الناس ذلك ما لا سبيل إليه

(١) المجر : الشرف ، والأفل : الغيب والواحد أفل يقال أفل أفولا إذا غاب قال الله عز وجل (فلما أفل قال لا أحب الآفلين) والقالص : المرتفع ، وفرس قالص طويل القوائم ، وأزى : قصر وتقبض . يقول إننا أصبحنا في عالم غربت نجوم مجده بعد الشروق وتقلص ظله بعد امتداد واحت رسومه ولم يبق من معالم المجد إلا اسمه الدارس وظله المتقلص

(٢) يقتدى : يتبع فعلهم . يقول إنه لم يبق من أصول المجد ودعائمه إلا بقايا قلائل هم في عصرنا الضوء الهادي إلى سبيل المكارم التي أصبحت خفية المعالم مندثرة لا تعرف ولا يتوسل إليها بغير هؤلاء الناس

(٣) انتضت : أي ظهرت وهو من نض الشيء ينضو إذا ظهر ويرى اقتضت بالقاف أي طلبت الأحاديث أخبارهم ، والأنباء : الأخبار واحداً نبأ ، والنشر : الرائحة الطيبة ، والروض : الموضع الذي يكون فيه ضروب من النباتات فيكون فيه أنواع النور وهو جمع روضة فإن كان فيه شجر فهو حديقة ، وغاداه : باكره وهو من الغدو يقال غاداه يغاديه مغادة إذا صبحه بالغدو . والسدى : الندى في هذا الموضع وهو المطر ، وقيل السدى ما نزل في أول الليل والندى آخر الليل ، وقال ابن الأنباري السدى والستى والندى في معنى واحد يقال أرض سدية وستية ونديّة قال الفراء وكلهن يكتبن بالآلف

لَا يَسْمَعُ السَّامِعُ فِي مَجْلِسِهِمْ هُجْرًا إِذَا جَالَسَهُمْ وَلَا خَنَا^(١)
 مَا أَنْعَمَ الْعَيْشَةَ لَوْ أَنَّ الْفَتَى يَقْبَلُ مِنْهُ الْمَوْتَ أَسْنَاءَ الرُّشَا^(٢)
 أَوْ لَوْ تَحَلَّى بِالشَّبَابِ عُمُرَهُ لَمْ يَسْتَلِبْهُ الشَّيْبُ هَاتِيكَ الْحُلَى^(٣)

والياء ، قال الأصمعي يقال سديت الأرض إذا نديت من السماء كان الندى أو من الأرض ، قال ابن حبيب الندى ما كان من السماء والسدى ما كان من الأرض يقول إن هؤلاء الناس حين يتحدث الناس بذكرهم تعطر الأرجاء مثلهم في ذلك مثل نشر الروض باكره الندى فعبقت أزاهيره وفغم الحواس أريجها

(١) الهجر : القبيح من القول . والخنا في القول أو الفعل . ويقال : الخافيهما يقول إن مجالسهم كريمة لا يسمع فيها للفحش أو الخنا أو هجر القول وذميمة ذكرأ فلا تتأذى فيها الأسماع بل تصان عن كل المقابح والعبوب

(٢) ما أنعم العيشة : أى ما أطيبها ، والعيشة : الحياة ، وأسناء الرشا : أرفعها وأعلاها وواحد الأسناء سنى بالتشديد وأصله الهمز لأنه من السناء الذى هو الرفعة والشرف لكن من شدد أبدل الهمزة ياء من أجل الياء التى قبلها وأدغم الياء الأولى فى الثانية على الأصل المستعمل فى الهمزة المتحركة التى قبلها ياء زائدة أو واو زائدة كسنى وضوء فالأسناء بالمد جمع سنى مثاله أيتام ويقيم وهذا المثال من الجمع لفعل إنما يكون قليلا فى الصفات لا فى الأسماء كما أنه قليل إذا أنى جمعا لفاعل نحو صاحب وأصحاب وشاهد وأشهاد ، والرشا جمع رشوة وهى العطية التى يحابى بها الإنسان أو يخص ، والمراشاة المحاباة وقيل رشا الهدايا لمن يخاف ظلهم مثل الحكام ونحوهم . يقول لو أن الموت قبل رشوة من الناس لبذلوا له الرشى السنية والعطايا الفاخرة لينعموا بالمعيشة وتصفو لهم الحياة وما كان أنعمهم بذلك ولكن الموت لا يقبل الرشوة فالحياة مرفقة مكدره بسبب الموت والفناء

(٣) تحلى بالشباب . لبسه وتزيأ به ، ويستلبه : يجرده ، وهاتيك : بمعنى تلك ، والحلى : جمع حلية . يقول أيضا ما أحسن التنعم بالحياة لو متع الإنسان

هيهات مَهْمَا يَسْتَمِرُّ مُسْتَرْجَعٌ وفي خُطوبِ الدهرِ للناسِ أَسَى^(١)
وَفَتِيَّةٌ سَامِرٌ هَمْ طَيْفُ الْكَرَى فَسَامِرٌ وَاللَّيْلُ وَهُمْ غَيْدُ الطُّلَى^(٢)
وَاللَّيْلُ مُسْلِقٌ بِالْمَوَايِ رَكَّةٌ وَالْعَيْسُ يَنْبِشُنْ أَفَاحِيصُ الْقَطَا^(٣)

الغيباب طول حياته ولم يسلط عليه الشيب ويغلبه الضعف فيسلبه حلي الشباب الجميلة بما فيها من قوة ونضارة وقدرة على الاستمتاع باللذات

(١) هيهات : بمعنى بعد . قال الله عز وجل حكاية عن الكافرين : هيهات هيهات لما توعدون . ومهما يستمر : أى ما يستمر لا بد لمعيره أن يأخذه . ومسترجع : مردود . وخطوب الدهر : أموره . والأسى : جمع أسوة وهى ما يتأسى به الانسان مما ينزل بغيره لأنه يقتدى به ويتعزى به فيتصبر . يقول ما أبعد هذه الآمانى ، فان الحياة والشباب عارية وكل ما لها الرجوع من حيث أتت فملينا أن نتأسى بما أصاب الناس قبلنا من نواب الدهر وفواجعه

(٢) فتية : جمع فتى ، وسامرهم : حادتهم ليلا ، والسمر : الحديث بالليل يقال من ذلك سمر يسمر فهو سامر ولا يقال سمر بالنهار . وقولهم هذه كتب السمر أى كتب الاحاديث التى يتحدث بها ليلا وقيل معنى كتب السمر أى كتب الدهر والعرب تقول لا أفعل ذلك ما سامر ابنا سمر أى ما اختلف الليل والنهار والعمار المحدثون واحدهم سامر . والسامرى منسوب الى سامرة وهى بلدة ، والطيف : ما يراه الانسان فى المنام من خيال من يحبه ، والسكرى : النوم والعيد : جمع أغيد وهو الناعم وقيل المسائل العنق وقيل المسائل المتثنى نعمة ، والطلّى . الاعناق ، يقول رب فتية قراهم طيف السكرى فوق ظهور الابل وسامرهم وأمال السكرى والنوم أعناقهم الناعمة وغلبهم التعب على النوم

(٣) المواي : جمع مومة وهى القفر ، والبرك : الصدر ، وينبش : يخرج من الثوب والنبشة : التراب الذى يخرج من البئر والنهر والجمع النبائث ، والعيس : البيض من الابل الواحد عيس والاثني عيساء ، وأفاحيص القطا : أوكارها

بمِثْ لَا تُهْدَى لِسَمْعِ نَبَاةٍ^{١)} إِلَّا تَسْمِعُ الْبُومَ أَوْ صَوْتَ الصَّدَى^{٢)}
 شَايِعُهُمْ عَلَى السَّرَى حَتَّى إِذَا مَالَتْ أَدَاةُ الرَّحْلِ بِالْجَيْسِ الدَّوَى^{٣)}
 قُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْهُوَيْنَا غَبَّهَا وَهْنٌ فَيَجِدُوا تَحْمَدُوا غِبَّ السَّرَى^{٤)}
 وَمَوْحَشِ الْأَقْطَارِ طَامَ مَاؤُهُ مُدْعَاةُ تَرِ الْأَعْضَادِ مَزُومِ الْجَبَا^{٥)}

واحدها الخوص وقيل أفاحيص القطا المواضع التي تفحصها بصدورها للبيض
 أى توسعها . يقول إن هؤلاء الفتية ناموا والليل قد غطى القفار وشملها وألقى
 عليها أرديته ، ولكن الأبل لم تنم بل سارت بهم في الليل تجوب بهم المواضع
 المقفرة تخرج بأخفافها أفاحيص القطا وأوكارها

(١) النبأ : الصوت الخفى ، ونشم البوم . صوته والبوم الهام ، والصدى
 ذكر الهام . يصف الليل وسكونه فلا تسمع الاذن إلا لصوت البوم والهام
 (٢) شايعهم : تابعهم على رأيهم في سير الليل ، والسرى . سير الليل ،
 وأداة الرحل : حوائجه وهى عيدانه من الإكاف وقطع الأكسية والبرذعة . والجلس
 الرجل الثقيل ، والدوى : الاحمق يريد بذلك أنه كان دائماً فالت به أداة الرحل
 يقول لأننى كنت متابعا لهؤلاء الفتية أسير معهم ليلاً فلما ناموا وثقل النوم
 أجسامهم مالت أداة رحلهم وهم على الأبل فكادوا أن يقعوا

(٣) الهوينا : الرفق في السير وقيل مشية فيها فتور ، وغب السرى : عاقبته ،
 والوهن : الضعف . وجدوا . أى اجتهدوا من قولهم جد يجد إذا اجتهد .
 يقول لأننى أيقظتهم ونصحتهم بالاقلاع عن النوم والكسل والترفق في السير
 لأن نتيجة ذلك كله غير محمودة وقلت لهم جدوا تحمدوا عاقبة سيركم هذا
 وتصلوا الى نتيجة حسنة محمودة وتقطعوا المفازة بسلام فإن النهار إن أدرككم
 منكم من السير لأنكم في يدهام لا يمكن للإنسان أن يسير في هاجرتها براحتة
 (٤) موحش الأقطار : يعنى بترأ أو حوضاً ، والموحش ضد المؤنس لأن
 الوحشة ضد الأنس فتفسر موحش بعيد العهد بالإنس ، والأقطار : النواحي

كَأَنَّمَا الرِّيشُ عَلَى أَرْجَائِهِ زُرُقٌ نِصَالٌ أُرْهَفَتْ لِتُمْتَهِي^(١)
وَرَدَّتْهُ وَالذُّبُّ يَعْوِي حَوْلَهُ

مُسْتَكٌّ سَمَّ السَّمْعَ مِنْ طَوْلِ الطَّوَى^(٢)
وَمُنْتَجِعٌ أَمْ أَيْبُهُ أَمْ^(٣) لَمْ يَتَخَوَّنْ جِسْمَهُ مَسَّ الضَّوَى^(٤)

واحدھا قطر ، والطامى: المرتفع ، ومدعثر: مهدوم ، والأعضاء: ما حوالیه
من صفائح الحجارة التى تعضده أى تشده وتقويه واحدھا عضد ، والجبا:
بفتح الجيم ما حول البئر والحوض ، والجبا: أيضا الحوض الذى يجي فيه الماء
يصف بئرا موحشة معطلة لبعدها عن الانس بها قد ارتفع ماؤها فتهدم بناؤها .
(١) على أرجائه . أى نواحيه وواحد الأرجاء رجبى مقصور ، وزرق
نصال: أى يعض نصال فالزرق البيض والنصال: جمع نصل وهى للسهم وواحد
السهم سهم . وأرهفت أى رفقت . وتمتهى: أسقى بالماء تقول امتهى الحداد
السكين أى سقاء بالماء وقيل معنى أرهفت ههنا استلت عن كنانتها . وتمتهى
أى تحد وهذا موافق لقول امرئ القيس

راشه من ريش ناهضة ثم امتها على حجره

يقول إن هذه البئر والحوض تناثر ريش سبع الطير فى نواحيها وأرجائها الكثيرة
ما وردته واقتلت على مائه فأشبه الريش النصال لزرق المرفقة المحددة المعدة للرمى
(٢) وردته: يعنى وردت هذا الماء فالهاء عائدة على الماء فى قوله طام ماؤه .
ومعنى يعوى يصيح من الجوع . ومستك: ضيق سم السمع والاستك: الصمم ،
والسم: الثقب وسم كل شئ ثقبه قال عز وجل (حتى يلبج الجمل فى سم الخياط)
أى فى ثقب الخياط . والطوى: الجوع والطوى أيضا خمر البطن وهو ضميره
يقول اتى وردت هذه البئر الموحشة التى لا أنيس عندها غير الذئب يعوى ويصوت
حوله من الجوع حالة كون ذلك الذئب أصم لا يسمع من طوى ما طوى جوعا
(٣) ومنتج: فيه قولان أحدهما أن يكون مفتعلا من النجوة وهو المكان

المرتفع فيكون الأصل فيه منتجو فوقعت الواو في موضع حركة وقبلها مكسور
فسكرنت وقلب لسكرمة ما قبلها فصارت ياء ما كنة دخل عليها التنوين فسقطت
لالتقاء الساكنين وهذا الوجه الصحيح والثاني وهو الوجه الضعيف أن يكون
منتج مفعلا من النتاج فيكون غلطا في اللغة لأنه إنما يقال نتجت الناقة ونتجها
أهلها فمحال أن يأتي من الثلاثي اسم المفعول على مفعول وإنما يكون على مفعول
كما يقال ضرب فهو مضروب وإنما يأتي على مفعول من الرباعي كقولك أكرمه
فهو مكرم غير أن أبا إسحاق الزجاج حكى أنه يقال نتجت الناقة وأنتجت بمعنى
واحد فهو على هذا جائز وقيل إن نتجت الناقة إذا ظهر نتاجها ولا يعرف لها فعل
غير هذا ، ومنتج على القول الأول اسم فاعل وعلى القول الثاني اسم مفعول ،
ومعنى البيت على هذا رب غصن مولود وهو على الاستعارة . ثم قال أم أبيه
أمه : يحتمل هذا وجهين يجوز أن يريد بأم أبيه التي هي أمه الأرض فكأنه
وصف غصنا نبت من غصن قطع من شجرة فالأرض أم الشجرة وأم الغصن
الذي نبت منه الغصن الثاني الذي هو أبو الغصن الأول ، ويحتمل أن يريد
غصنا قطع من فرع من شجرة فتلك الشجرة أم الفرع والفرع جعله للغصن
ممنزلة الأب على الاستعارة والشجرة أم الفرع وأم الغصن لأنه منها فصارت
أما لأبيه وأما له وقوله لم يتخون : أي لم يتعاهد يقال فلان يتخونه الخبل
أي يتعاهده والتخون أيضا التنقص ويروى لم يتخور جسمه بالراء وهو من الخور
والخور الضعف يقال غار الرجل يخور خورا إذا ضعف وهو بالخاء المعجمة
واسم الفاعل حائر وخوار . يريد أن الغصن الذي ذكره لم يتعاهده الضعف
والرقة . والضوى : الهزال ومنه غلام ضار وجارية ضاوية . وقال ابن خالويه :
يعنى النار إذا قدحت من الزند والزنده وهما خشبتان العرب توري منهما النار
الأعلى الزند والسفلى الزنده . ويقال في الشجر كله النار واستحمد والعضاة .
قال الله تعالى (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) يعنى الأخضر إذا
يبس يورى منه النار فأقام هذه النار الزنده وأبوها الزند وهما من شجرة واحدة
ولذلك قال أم أبيه أمه وهذا كما قال ذو الرمة
أخرها أبوها والضوى لا يضيرها وساق أبيها أمها اعتقرت عقرا

أَفْرَشْتُهُ بِنْتَ أَخِيهِ فَأَنْثَتْ عَنْ وَلَدٍ يُورَى بِهِ وَيُشْتَوَى^(١)
وَمَرْقَبٍ مُخْلَوٍ لِقِ أَرْجَاؤُهُ مُسْتَصَفٍ الْمَسْلُوكِ وَعَرِ الْمَرْتَقَى^(٢)

وقد قال مثل هذا اوس بن حجر والنابعة وكعب بن زهير فأما قول كعب
حرف أخوها أبوها من مهجنة وعمها خالها فوداء شمليل
هذا جمل قرع ناقة فولدت سقبا أى ولدا ذكرا فلها باع قرع هذه الناقة
وهى أمه فولدت بكرة هو أبوها وهو أخوها من الفحل الكبير والفحل الكبير
خالها لأنها لأخ لأب وأخ لأم . قال ابن حبيب معنى هذا البيت مثل رجل
تزوج امرأة وزوج بنته من غيره لابنها من غيره ثم جاء منها ولد وجاء ابنها
من بنته ولد فصار ابن الرجل منهما عم ذلك الولد لأنه أخو أبيه من أمه وهو
خاله أيضا لأنه أخو أمها من أبيها . قال الطرماح :

وأخرج أمه لسواس سلمى لمعقوم الضرا صرم الجنين
يعنى بذلك الزادة وسواس سلمى أصله وسلمى مع جبل طىء والحرف من
النوق تكون هزيلة وسمينة . وقال آخرون سميت حرفا لأنها انحرفت من
السمن إلى الهزال وهذا كثير فى اللغة

ولم يتخون: لم ينقص يقال تخونه وتخرفه بمعنى قال تعالى (أو يأخذهم على تخوف)
أى على نقص . والعضوى الهزال ضوى يضرى ضوى شديدا وغلما ضاوى
مهزول . وجاء فى الحديث «تزوجوا فى الغرباء ولا تضووا» ويروى
«لا تضربوا فى الأقارب فتضووا» والعضوى أيضا جمع ضوة وهى درمة فى لهازم
البعير . والهازم داخل الحنك من كل شىء

(١) أفرشته يعنى فرشت للزند الأعلى بنت أخيه الزندة السفلى فانثت
عن ولد يعنى النار ويقال للنار إذا خرجت من الزندة السقط . ويورى به :
أى يستضاء به . وذكر الضمير فى به لأنه راجع على الولد والولد مذكر .
ويشتوى به : يشوى به يقال شويت اللحم واشتويته

(٢) المرقب : الموضع العالى الذى ينظر منه إلى بعد . والمخلوق : الأملس

والشخص في الآل يرى لناظر
أوفيت والشمس تمشج ريقها
ترمقه حيناً وحيناً لا يرى
والظل من تحت الحذاء تحتذي

أرجاؤه : نواحيه ، والمستصعب : الصعب ، والمسلك : الطريق وجمعه مسالك ،
ويروى مستصعب الأقداف ، والأقداف النواحي واحدها قذف ، والوعر : الصعب
والمرتقى : المصعد . ويروى وعر المرتقى أى الموضع العالى الذى يرتقى اليه أى
يرتفع فيه ويصعد عليه وهو من ربا يربو إذا ارتفع والربوة الأرض المرتفعة
وفى أربع لغات ربوة وربوة وربوة بتعاقب الحركات الثلاث على فائها
وربارة والجمع الربى ، وقوله عز وجل (وآويناها إلى ربوة ذات قرار
ومعين) قيل إنها دمشق ، وقيل إنها بيت المقدس ، وقيل هى فلسطين ،
وقيل هى مصر . يقول ورب مكان عال أو جبل مرتفع شامخ كل نواحيه
ملساء لا تثبت عليه قدم ولا تستمسك به يد تعجز القوى عن الوصول اليه
لوعورته وصعوبة السير والاهتداء فيه

(١) الشخص : هو الشئ المرتفع مأخوذ من شخص إذا ارتفع . والآل :
هو السراب . وترمقه : تنظره . وحيناً : وقتاً . يقول إن الشخص والمعال التى
وضعت فى طرقاته للهداية منهممة الحذر من حراها جرة وشدة وقذمت يخفيها السراب
عن العيون مرة فلا تستطيع أن تراها ويظهرها مرة أخرى فترى للعين واضحة
(٢) أوفيت : أوتيت ووصلت . وتمج ريقها : تلقى ريقها لعابها
ولعاب الشمس إنما يكون فى وقت الظهيرة ، وهو أشد ما يكون فيه الحر
فيتبين فى ذلك الوقت فى الشمس مثل نسج العنكبوت خفى يسمونه لعاب الشمس
وريق الشمس ولا يكون لشيء فى ذلك الوقت ظل إذا كانت الشمس فى وسط
السماء ، ومعنى والظل من تحت الحذاء تحتذى : أى ملصق والحذاء : النعل
يقول فالظل تحت النعل كأنه قد حذى معها يريد أن ظل الانسان قد صار نعل
الحذاء النعل لأنه بقبالته من تحت محاذيا له . يقول إني أوفيت ووصلت إلى هذا
المكان رغم خطر سلوكه ووعورته فى وقت الظهيرة والشمس كالحية تلقى ريقها

وطارق يؤنس الذئب إذا تصور الذئب عشاءً وانضوى^١
أوى إلى نارى ونهى مألَف^٢ يدعو العفاة ضوها إلى القرى^٣

تنشر سمومها في الجو وذلك حين يشتد أوارها وحرها وتتوسط الشمس في كبد السماء فتعدم الظلال ويكون الظل تحت قدم السائر
(١) الطارق: الذي يجيء بالليل ولا يكون الطارق نهارا. وتصور: صاح من الجوع والتصور الصباح من الجوع يقول إن هذا الطارق يؤنس الذئب وعواؤه قلما يثس من سماع أصوات بني آدم أنس بصوت الذئب. وطارق: يصف طارق ليل أوضيفا أنه عشاء، بأن شيمته أن يأنس لشجاعته وقوته إلى عواء الذئب إذا تصور من الجوع وهزل، والذئب في هذه الحالة أنسد فتكا. ألف الوحوش لأنه وجد فيها خلافاً فضلياً وأنها لا تبدأ بشر فأنسته وأنس بها. كقول الشاعر:

عوى الذئب فاستأنست للذئب إذ عوى وصوت لإنسان فكادت أطير
(٢) أرى إلى نارى: أى انضم إلى نارى تقول أويت إلى فلان بغير مدح على وزن فعلت أرى إليه ممدوداً في المستقبل على وزن أفعل فأما إذا كنت أنت الذى تؤويه أى تضمه فتقول آريته بالمدح على وزن افعلته أوؤبه لمؤواه على وزن افعلال قال الله عز وجل (وفصيلته التي تؤويه) أى تضمه وتنسبه إليها: والمألَف: الموضع الذى يجتمع فيه الاحباب كأنه يؤلفهم فلذلك سمي مألَفاً. والعفاة: الفقراء وأحدهم عاف مثل قاض وقضاة. والقرى: الضيافة. ويدعو العفاة: أى يندبهم ضوؤها. والكرام من العرب يوقدون النار ليستدل بها على أمكنتهم قال حاتم طي: يخاطب غلاماً له.

أوقد فان الليل ليل قر والريح يا واعد ريح صر
عل يرى نارك من يمر لمن جلبت ضيفاً فأنت حر
وهذا أجود ما روى في هذا المعنى.

يقول إن هذا الضيف رأى النار التي أوريها والشواء الذى عملته عليها.

لِلَّهِ مَا طَيفُ خَيَالٍ زَائِرٍ تَزْفُهُ لِلْقَلْبِ أَحْلَامُ الرُّؤَى^(١)
يَجُوبُ أَجْوَازَ الْفَلَا مُحْتَقِرًا هَوْلَ دُجَى اللَّيْلِ إِذَا اللَّيْلُ أَنْبَرَى^(٢)
سَائِلُهُ إِنْ أَفْصَحَ عَنْ أَنْبَاءِهِ أَنَّى تَسْدَى اللَّيْلُ أَمْ أَنَّى اهْتَدَى^(٣)

فأوت إليها فالعرب جعلوا النار ما ألفا يؤمه طلاب القرى برؤية ضيائها
يقول إن ضياء نيراننا بمثابة دعوة أبناء السبيل إلى الطعام .

(١) لله ما طيف . اللام في هذا بمعنى التعجب يقال لله زيد ما أكمله في جميع
حالاته وما زائدة والتقدير لله طيف خيال . والطيف ما يراه الانسان النائم في
صورة محبوبه . والخيال الشخص الذي يتخيل لك . وتزفه : تحمله من قرلك
زفقت العروس إلى زوجها أزفها إذا حملتها اليه . والأحلام جمع حلم . والرؤى
جمع رؤيا ، يقول ما أعجب هذا الزائر الذي زار في طيف خياله وقد أرتقى إياه
الأحلام التي أراها في منامى وزفته إلى قلبي كما تزف العروس .

(٢) يجوب أى يقطع وأجواز الفلا : أوساطها جمع جوز ، والفلا جمع فلاة :
القفر من الارض ، ومحتقرا أى مستهفرا ، لهول دجى الليل ، والدجى :
الظلمة جمع دجية ، وأنبرى : اعترض ينبرى أنبراء فهو منبر واسم المفعول
منبرى اليه الشدة وجمعه أهوال . يصف هذا الحبيب الذى زاره طيف خياله
بأنه يسرى في الليل وسط الصحارى والفلوات مستهينا بما يلقاه من أخطار
وصعوبات وأهوال

(٣) سائله يعنى الخيال . وعن أنبائه عن أخباره وواحد الأنباء نبأ ، إن
أفصح : إن أبان يقال أفصح يفصح إفصاحا فهو مفصح ، أنى : أى كيف
ومنه قول الله عز وجل « أنى لك هذا » أى من أين لك هذا . تسدى : امتد في
السير . وقيل تسدى الليل قطع الليل بالسير يقال تسديت الوادى إذا قطعت
ويقال تسدى ركب . ويقال تسديت الشيء أتسداه تسديا إذا ركبته وعلوت
عليه ومنه قول امرئ القيس :

أَوْ كَانَ يَدْرِي قَبْلَهَا مَا فَارِسٌ وَمَا مَوَامِيهَا الْقِفَارَ وَالْقَرَى^(١)
وَسَائِلِي بِمَزْعَجِي عَنْ وَطَنٍ مَا ضَاقَ بِي جَنَابُهُ وَلَا نَبَا^(٢)

فلما دنوت تسديتها فتوبا نسيت وثوبا أحر
فغنى قطع هنا أحسن وأم أنى اهتدى معناه من أين اهتدى لزيارتنا واهتدى :
استدل ومعنى اهتدى في الدين استدل على طريق الحق والرشد ، يقول أسأل
هذا الزائر ويريد به الطيف لعله يحبك عن سؤالك أو يفصح ويحلى عن أخباره
إن كان يستطيع البيان ، من أين أقبل راكبا حول الليالي وكيف اهتدى إلى
مكانى ، يقول : إن هذا المكان الذى هو فيه مكان خفيف منقطع لا يرد أحد
ولا يهتدى إليه كائن حتى أن الأطياف يبعد أن تمر به والجان لا تقدر أن تعبره .
(١) أَوْ كَانَ يَدْرِي قَبْلَهَا يريد قبل هذه الزورة ثم أضمر وجاء بالمضمر
لأن سياق الكلام يدل على الضمير ، وما فارس : يريد أرض فارس فحذف
المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وهذا كثير في القرآن وفي لسان العرب
والموامى : القفار واحدها مومة . والقرى : المدن واحدها قرية . يقول أسأل
طيف هذا الحبيب أكان يدري قبل هذه الزيارة أرض فارس ومواميها المقفرات
الخفيفة وقراها العجيبة ومدنها الغريبة وإنما كان يعنى نفسه لأنه رحمه الله قال
هذه القصيدة بعد خروجه من البصرة إلى فارس يمدح بها الأمير الميكالى وابنه
(٢) سائلى أضاف وهو يريد الانفصال وذلك أنه جعله نكرة لأن الواو
واو رب أراد ورب سائلى فأضاف . وما أضيف ومعناه الانفصال قول الله
تبارك وتعالى « كل نفس ذائقة الموت » وكذلك « هديا بالغ الكعبة » أى كل
نفس ذائقة الموت وهديا بالغ الكعبة وكذلك تقول مررت برجل ضارب
زيد تريد ضارب زيدا فنعت به الرجل وجعلته نكرة وإن كان مضافا إلى معرفة
لأنك تنوى به الانفصال . وبمزعجى : أى بمزلى ومخرجى ، والباء فيه بمعنى
عن كأنه قال وسائلى عن مزعجى والعرب تقول رب سائلى يزيد أى عن زيد
والوطن : المحل وجمعه أوطان . والجناب : بفتح الجيم الناحية . ولا نبأ : أى

قلتُ القضاء مالِكُ أمرُ الفتى

من حيثُ لا يدري ومن حيثُ درى^(١)

لا تسألني واسألِ المقدارَ هلْ يعصمُ منهُ وزرُّ ومزدرى^(٢)

لا بدُّ أنْ يلقى أمرؤُ ما خطه ذو العرشِ مما هو لاقٍ ووحي^(٣)

ولا ضاق يقال نبا ينبو نبوة فهو ناب . يقول : ورب سائل لي مستوضح عن الأمر الذي أزعمني عن أرض العراق وما كان جنابه ولا نواحيه ضيقة بي ولا كانت أرضه نائية مقلقة لي تقض مضجعي ، وفي هذا إشعار بألمه العظيم وتدمه على هجر بلاده ووطنه إلى أرض فارس وتعلقه بوطنه

- (١) يرد سبب خروجه من البصرة وسفره إلى فارس إلى قضاء الله وقدره وأن أمور الناس رهن القضاء وصروفه يوجهها حسب إرادته لا دخل لإرادة العبد مطلقاً في ذلك ولا للمشيتة ولا علمه وجهله (وما تشاءون إلا أن يشاء الله)
- (٢) لا تسألني : يرد على السائل الذي سأله عن السبب الذي أزعجه وأخرجه عن وطنه . والمقدار : القدر وهو ما قدر على الإنسان من خير وشر ثم قال هل يعصم منه : أي يمنع منه يعني من القدر ، ومنه قول الله عز وجل (لا حاصم اليوم من أمر الله) أي لا مانع . والوزر : الملقب وجمعه أوزار . والمزدرى : المكان المرتفع المانع وهو من الذروة ، والذروة أعلى الجبل ، وقيل أو مذرى أراد به جانباً عزيزاً من قولهم فلان في ذرى فلان بفتح الدال أي في جانبه كأنه قال لا يعصمه ملجأ ولا جانب يمنعه غيره ، ويروى بالدال المهملة والمذرى المدفع وهو من درأت أي دفعت . يقول : دع عنك مساءلني ولا تعنتني بكثرة سؤالك فلا جدوى من وراء ذلك ولكن إذا أصبت فاسأل القدر نفسه وما يصيب الإنسان ويلم به من أحداث الدهر ونوائبه ، أسأله أي وجد عاصم ووزر وملجأ يحول بين الإنسان وبين أحداثه ؟ هناك ما يدفع عنه غوائل القدر ونوبه ؟
- (٣) لا بد : حتم ، وما خطه ذو العرش : يريد ما كتبه الله في اللوح المحفوظ .

لَا غَرَوْ أَنْ لَجَّ زَمَانُ جَائِرٍ فَأَعْتَرَقَ الْعَظْمُ الْمَمِخُ وَاتَّقَى^(١)
فَقَدْ تَرَى الْقَاحِلَ مُخَضَّرًا وَقَدْ تَلَفَى^(٢) أَخَا الْإِقْتَارِ يَوْمًا قَدْ نَمَا^(٣)
يَاهُؤَلِيَّا هَلْ نَشَدْتُنْ لَنَا نَاقِبَةَ الْبُرْقُعِ عَنْ عَيْنِي طَلَا^(٤)

ووحى : معطوف على خطه ومعنى وحى كتب يقال وحى يحيى وحيا إذا كتب .
يقول إنه لا عاصم ولا وزر هناك بل حتم أن يلاقى كل امرئ ما كتبه
الله عليه عليه وغيبه وقضاه وحتمه في أم الكتاب وأن يرضخ لحكم القضاء
وتصارفهم كالعبد القن الذى ليس فيه شائبة من حرية

(١) لا غرو : لا عجب . ولج زمان : عرض وألج زمان ، فأعترق العظم :
أى أزال عنه اللحم . والممخ : الذى فيه المخ . وانتقى : استخرج منه النقى وهو
المخ . يقول لا تعجب بعد ذلك حين ترى الزمان الجائر يبلع على العباد ويقصدهم
بالإساءة والمسكره وينجى عليهم بشئ المصائب التى تشهده الجبال وتذويه
وتعترق العظام السمينة القوية الممثلة بمادة القوة والحياة فيزيل ما عليها من
اللحم والبضاضة والسمن ويمتص ما فيها من المخ والدهنيات ويتركها جلودا
على عظام كالحة اللون ضعيفة واهنة القوى وهذا مثل لما يصيب أشرف
الناس ويلحقهم من العدم والفاقة ، ومثل لحالته التى وصل إليها

(٢) القاحل : اليايس . وأخوالاقتار : المقل من المال ، ونما : زاد واستغنى .
يقول كما ترى الأرض القاحلة التى لا نبات فيها قد اخضر آدمها بالعشب والنبات
وترعرع فيها الشجر وجاد بالثمر . كذلك تجد الفقير البائس قد أقيمت الدنيا
عليه وعظم ماله واستغنى وعز أمره بعد أن كان حةيرا ذليلا

(٣) هؤليا : تصغير هؤلاء ، ونشدتن : طلبتن ، وقيل نشدتن عرفتن من
قولهم نشدت الضالة إذا عرفتها . وناقبة البرقع : أى مغطية البرقع والمتقنعة به
ويروى رافعة البرقع أى التى إذا رفعت البرقع عن وجهها رفعت عن عيني طلا
ويروى أيضا ناقبة البرقع بناء مثلثة يريد المضيئة الوجه ومنه قوله عز وجل

ما أنصفت أم الصبيين التي أصبت أبا العلم ولما يصطبي^(١)
استحي بيضا بين أفودك أن يقتادك البيض اقتياد المبتدى^(٢)

(النجم الثاقب) والطلا : بفتح الطاء ولد البقرة الوحشية وجمعه أطلاء
وهذا انتقال من موضوع إلى آخر يقول لأصحابه ألا طلبتن المرأة الحسناء
المتنقبة بالبرقع على عينين ساحرتين جميلتين كعيون بقر الوحش حورا وجمالا ،
إنما هو زجر وتعنيف لمن يتتبع الفساء والجمال بعد زمان الصبا والطيش وقد
فاداهم بصيغة المصغر ليدل على أن طلب النساء إنما يكون في زمن الحداثة ويؤيد
هذا الذي أذهب إليه أنه يردع الأشيب عنه

(١) ما أنصفت أم الصبيين : هذا لفظ تقوله العرب تمدح به المرأة الكاملة
وقيل أم الصبيين يعنى بالصبيين العننين سميا بذلك للشخص الذى يرى فيهما
كالصبيين وهو الذى يسمى لإنسان العين وهذا قول حسن ويروى الصبيين بضم
الصاد وهما الخرصان اللذان يكونان فى الأذنين . وأصبت أبا العلم : أى ردتها
إلى الصبا وهو اللهو . والعقل : ولما يصطبي أى لم يرد إلى الصبا فلما هنا
بمعنى لم يرد قبل ذلك إلى الصبا . بعد أو زجر الكبير المسن عن النظر إلى
الفساء الجميلات والتلفت اليهن وطلبهن ونشدانهن عرض لوجر النساء ، يقول
ليس إنصافا منك أيتها المرأة التى كبرت وأصبحت أم صبيين أن تبتذل جمالها
وتعرضه فى سوق الهوى والبطالة وتعرض العاقل الحليم الذى لم يقع فى شرك
النساء من قبل فيقع بسببها أسير الهوى والجمال وربما كان ذلك وصفا منه لامرأة
بعينها جميلة جعلته غرضا لها ورمته نفسه بحسن وجهها وجمال عيونها فأقصده
(٢) استحي : فعل أمر من الحياء الذى هو ضد القحة . وبيضا : أراد
من بيض فلما أسقط من تعدى الفعل فنصب ، والبيض الأول هو الشيب ،
والبيض الثانى النساء ، يخاطب نفسه ويعاتبها يقول استحي من شيبك أن
تستميلك النساء فيرددنك من طريق الحلم إلى التصاى . وين أفودك : جمع
فود والفودان جانب الرأس أى ناحيته من يمين وشمال . ويقتادك :

هيهات ما أسفَعَ هاتا زَلَّةً أطرباً بعدَ المشيبِ والجلالِ
ياربِّ ليلٍ جَمَعَتْ قُطْرِيَه لى بنتُ ثمانينَ عَرُوساً تُجْتَلَى^(١)

يقودك ويسرقك . واقتياد : سوق . والمهتدى : الأسير ، ويروى المفتدى أيضا
بالفاء وهو الأسير ، ويروى المعتدى بالعين المهمة يريد المعتدى عليه فيكتفى
بعلم المخاطب من الصلة وهو قبيلع والمعتدى عليه هو المظلوم الذى اعتدى عليه
قال الله عز وجل (فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) يقول
لمن ابيض شعر فوديه ألا تستحي من طلائع المشيب التى ظهرت تبشيرها ببر
فودى رأسك . إن سنك قد كبرت وعقلك قد تم واكتمل ورجح فيجدربك أن
تتبع الحزم ولا تتبع الهوى وجمال النساء فتساق إلى حتفك كما تساق الذبايح
التي تهدي في المشعر الحرام لتتجر وتسفك دماؤها . إنه لجدير بك أن تكون
أنت الهادى المسير لغيرك لا أن تكون أنت المهتدى فدية أو هدياً يضحى به .

(١) هيات : كلمة تبعيد . وهاتا : المؤنث بمنزلة هذا المذكور ويروى ما أشنعها
نازلة أى ما أشنع هذه النازلة نازلة وأشنع : أقبح . والزلة : الخطيئة والسقطة
والنازلة المصيبة تنزل بالانسان ونصب أطرباً بفعل محنوف كأنه قال : أطرب
طرباً بعد المشيب والطرب في هذا الموضع الفرح والطرب خفة تصيب الرجل
عند شدة السرور أو عند شدة الجزع . والجلال : بفتح الجيم مقصوراً انحسار الشعر
عن مقدم الرأس . يقول بعد ما تصنعه أيها الأشيب الأحق من تصاييك ،
لإنها زلة عظيمة شائنة وفعلة معيبة تسود الوجه وتملؤه عيوباً . أفيلق بك أن
تطرب وتلهو بعد أن غزا المشيب رأسك وجلا الشباب بزنته عنك

(١) جمعت قطريه : أى جانبيه وهما هنا الطرفان أول الليل وآخره .
وبنت ثمانين : ههنا الخمر ، وإنما سمها بنت ثمانين لأن من شربها أوجبت عليه
ثمانين جلدة . وتجتلى : تجلى من جلوت العروس وهو لأظهارها . يذكر أيام
الغيباب والهم والمرح الصاخبة بمجالس الشراب فيقول كم من ليل وصلت
لى طرفيه صبوحه وغبوقه الخمر المعتقة التى لبست فى دنيا ثمانين سنة كانت حين

لم يملك الماء عليها أمرها ولم يندنسها الضرام المحتضى^(١)
أى الداء وأحياناً بها من دائها إذا يهيج^(٢) يشتق^(٣)
قد صانها الخمار لما اختارها صنأ بها على سواه واختبى^(٤)
منى ترى من طول عهد إن بدت فى كأسها لأعين الناس كلاً^(٥)

تدار علينا كؤوسها مع الوصائف والوصيفات كعروس أبرزت من خدرها
مع أترابها ولداتها البعلها وهذا يهدم دفاعنا عنه فى المقدمة عفا الله عنه
(١) لم يملك الماء عليها أمرها : يريد لم تمزج بالماء فتكسر حدتها وسورتها
ولم يندسها : لم يغيرها . والضرام : الحطب اللقيط يوقد به الحطب الغليظ .
والمحتضى : العود الذى تحرك به النار وهو من قولهم حضأت النار إذا حركتها
وأحضأتها إذا أشعلتها ومنه قول الشاعر

ونار قد حضأت بعيد وهن بدار ما أريد بها مقاما

وقيل الضرام النار المضرة ، والمحتضى المحرك . أى لم تمزج بالماء والخمر
إذا مزجت بالماء ضعف تأثيرها ، يقول إنها قوية لم يلحقها المزج بوهن ولا
فتور أو كلال وكما أنها لم تضعف بالماء كذلك فإنه لم يحم عليها بالنار ولم تسو
بها ، بل خمرت من دون نار ولاضرام لأن الضرام يندسها ويذهب كريم طباها
(٢) يقول إن الخمر فى بعض الأحيان داء وإنما يكون ذلك عند أول شربها
فاذا أصيب شاربها بدائها فإن شربها يكون هو الدواء لذلك الداء وهذه مغالطة
وهى كما يقول أبو نواس دواونى بالى كانت هى الداء ،

(٣) قد صانها الخمار : أى حفظها . وضناً : أى بخلا . واختبى : وخبى أى
ستر . وقوله كلاً : أى كلاً خمر . يقول إن هذه الخمر معتقة وطيبة وإنما مما
يعضن ويبخل به فإن الخمار الذى سبأها واشتراها لما تخيرها ورأى ما فيها من
الميزات صانها فى دنانها ومنع عنها كل بدسواه وخبأها فى الستور والمخاض صنأها
(٤) يقول إنها لطول ما حفظت رقت وخفت وصفت فاذا صبت فى

كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ فِي ذُرُورِهَا بِفِعْلِهَا فِي الصَّحْنِ وَالكَاسِ اقْتَدَى^(١)
 نَازَعَتْهَا أَرْوَاحٌ لَا تَسْطُو عَلَى نَدِيمِهِ شَرَّتُهُ إِذَا انْتَشَى^(٢)
 كَانَ نَوْرُ الرُّوضِ نَظْمَ لَفْظِهِ مُرْتَجِلاً أَوْ مُنْشِداً أَوْ إِنْ شَدَا^(٣)

الكؤوس شابهتها لأن الأمر يختلط على الزاني فيحسبها الكأس، ويوضح هذا قول الشاعر:

رق الزجاج ورقع الخمر فقتشها قتشا كل الأمر
 فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

(١) قرن الشمس: أي شعاعها. وذرورها: بالذال المعجمة وطلوعها يقال ذرت الشمس إذا طلعت. ومنه لا أكلك ما ذر شارق أي ما طلع نجم. والصحن: القدح الكبير الواسع. والكأس القدح إذا كان فيه خمر، ومعنى اقتدى: اتبع أثره. يقول إن هذه الخمر حين تصب في الكؤوس أو الأقداح تضيء ما حوالها وكان الشمس حين تطلع إنما تقلدها في فعلها وتحاكيها

(٢) نازعتها: أي نازلتها وأدبتها من قول الله عز وجل (يتنازعون فيها كأساً). الأروغ: الحسن المنظر الجميل. لا تسطو: لا تعدو مأخوذ من السطوة يقال سطا يسطو سطوبة إذا عدى عليه. والنديم: الصاحب. والشرة: الحدة، وانتشى: سكر، المنازعة مفاعلة من جانبين أي كنت أنا وتدعى أنتازعها فأعطيه الكأس مرة ويعطيني الكأس أخرى، ثم وصف ندعته هذا بأنه حسن المنظر جميل الصورة رائع الحسن مؤدب لا تخشى بادرته حين تلعب الخمر بعقله وينتشى ويذهب لبه بل يظل هادئ الطبع حلواً لمجالسة لطيف الصحبة

(٣) النور: الزهر، المرتجل: الذي يأتي بما يخطر على باله على البديهة بغير استعداد. أو منعددا: أي منشداً للشعر. أو إن شدا: أي أو أن تعلم شيئاً من العلم وقيل أو إن شدا أو إن غنى وهو أجود وأليق بالمعنى لأن هذه الأحوال التي وصفها أحوال طرب لا أحوال طلب فلا معنى هنا لطلب العلم، والشادي في كلام العرب المغنى، والشدو الغناء يقال شدا يشدو شدوا إذا غنى

من كل ما نال الفتى قدر ثلثه^١ والمرءى يبقى بعده حسن الثنا^٢
فإن أمت فقد تناهت لذتي وكل شيء بلغ الحد انتهى^٣
وإن أعش صاحب دهرى عالماً بما انطوى من صرفه وما انتشى^٣

يقول إنه أديب راوية ناثر شاعر مرتجل ألقاه جيلة كاتنها أزهير الرياض
في الملاحاة والنضارة والخفة على السمع .

(١) من كل ما نال الفتى قدر ثلثه : أى من كل شيء طلب الفتى فأدركته
من خير أو شر . والثنا : هنا مقصور يكتب بالالف لأنه من ثنا عليه كلاماً
حسناً أو قبيحاً يثبته ثرا وهو بتقديم النون على الثاء إذا تكلم في جانب المذكور
بذلك الكلام فأما الثناء بتقديم الثاء على النون ممدوداً فلا يكون إلا في الخير خاصة
قال الشاعر في الثنا الذى يكون للخير والشر :

ولو عن ثنا غيره جمانى وجرح اللسان كجرح اليد
وقال الآخر في الثناء الذى يكون للخير خاصة :

هذا الثناء فإن تسمع به حسناً فلم أعرض - أبيت اللعن - بالصفد
لما عدد كل الملاذ والمتع والمفاخر التى لبنى الانسان من الفروسية وركوب
الخيال العتاف واستصحاب الرماح السمرية وصحبة كرام الناس وأجوادهم
وأشرافهم مع ما هو عليه من قويم الأخلاق والقوة والبسالة والعطف على الصديق
والعفو عن الضعيف أفاض في ذكر النساء والخمر وحسن الندامى والأصحاب وكل
خير يناله الفتى واستمتعت به حياتى ولقد أبقيت بعد مماتى الثنا الحسن والذكر الجميل
فقد جمعت بين الشرفين وحزت أسنى الغايتين

(٢) تناهت لذتى : بلغت النهاية والغاية . والحد : الشيء الذى لا يتجاوز .
يقول لئننى إذا مت فكفى ما أصبت من اللذائذ واستمتعت به من
طيبات هذه الحياة ويعزى فى ذلك أننى نلت غاية اللذة وكل ما بلغ الغاية تلاشى
(٣) بما انطوى من صرفه وما انتشى : انطوى استتر وانتشى ظهر وهو

حاشا لما أسأره في الحجا وارحلم أن أتبع رواد الخنا^١
أو أن أرى لنكبة مختصما أو لا يستهاج فرحا ومزدهي^٢

بالشين المعجمة والمستقبل ينتشى وصرف الدهر تقلبه . يقول : لأنني أطول
اختباري للحياة وتجربتي وابتلائي بالشدائد والمحن ، أصبحت طالما بما تجنه
الأيام والليالي فإن قدر لي عيش فأسأبر على البلاء .

(١) حاشا : كلمة تبرئة والتبرئة نفي الدنس عن ذات المخاطب قال الله عز وجل
(وقلن حاشن) . وأسأره : أبقاه ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم إذا
شربتم فاستروا ، أي أبقوا في الأناة بقية والسور البقية . والحجا : العقل .
والحلم : التغافل عن كل مكروه يقابل به ويواجه . والرواد : جمع رائد ، ورائد
القوم رسولهم الذي يرتادهم موضع الكلا أي يطلبها لهم ، والكلا : العشب .
والخنا : الفحش في الأفعال أو المقال وهو من الخنوة وهي الفرجة في الخص .
يقول إنه لا يليق بي ولا يتعلق بحاشيتي وإني أنزه وأبرأ عن سلوك الطريق التي
يرتادها السفلة الرعاع فإن لي بقية من العقل والحلم تمنعني من غشيان هذه المسالك .
(٢) أو أن أرى مختصما : أي متذلا . والنكبة : المصيبة الحادثة . والابتهاج :
السرور . والمزدهي : المستخف وقيل المعجب . يقول كذلك من المحال أن يراني
أحد ذليلا ضارعا إذا عرتني نكبة أو يراني إنسان فرحا معجبا إذا نالتني
مسرة بل أنا حازم مالك لزمام نفسي راض بما قسم الله لي ، لتيقني أن مصائب
الدنيا ونكباتها زائلة ، ومسرراتها ولذاتها فانية . ولن يبقى غير وجه ربك
ذي الجلال والإكرام .

عبد الله اسماعيل الصاوي
(بإدارة أحياء التراث القديم)
بوزارة المعارف

وقد وافق فراغ من كتابة هذا الشرح الموجز الفراغ من طبعه في غرة شعبان

سنة ١٣٧٠ الموافق ٧ من مايو سنة ١٩٥١ وفيه الحمد والمنة

6-12596885

1461287x

1974

MAY

PJ
7745
I 155
M3
1951

The American University in Cairo
Library

November 02, 1993



0 0 0 0 0 2 9 2 1 9 4

9 NOV 1987

AUC - LIBRARY



DATE DUE

 AUC	
18 JAN 1994	

9 NOV 1987

